العدد ١١ - مجلة دورية تصدر عن مركز دلائل -١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

حوار العدد مع أ. مهند الهويدي

المعرفة الشابة: هل يكتفي جيل بلا أستاذ؟
أ. طارق العياضي الحربي

اللامبالاة ليست مجرد حالة مزاجية
د. مها الجريس

اجتياحات أزمة الرجولة ومشكلات الشباب الحديثة
أ. سامي الحربي

مجلة أوج

مجلة فكرية شبابية منوّعة؛ لحياة عصرية متجددة، تناسب القارئ المهتم والمتخصص

العدد (١١)
عام ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مركز دلائل
Dala'il Centre

تصدر عن مركز دلائل
dalailcentre.com

نرحب بآرائكم ومشاركاتكم عبر البريد
Aog@dalailcentre.com

المشرف العام
أ.د. خالد بن منصور الدريس

مستشار المجلة
م.أحمد حسن
أ.رضا زيدان

رئاسة تحرير المجلة
أ.سارة العتيبي
أ.فاطمة محمد

الآراء المنشورة في أوج تمثل أصحابها

تصميم
MARSAMDESIGN

الأعداد السابقة

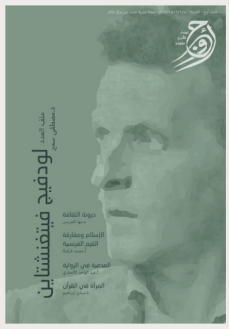

محتويات

٨ **اجتياحات أزمة الرجولة ومشكلات الشباب الحديثة**
أ. سامي الحربي

١٢ **ثقافة المراهقة في القرن الواحد والعشرين/ جريجوريو لوري**
ترجمة: أ. رغد الظاهري

١٥ **عندما عرفتُ الله**
أ. هلا العريفي

٢٢ **اللامبالاة ليست مجرد حالة مزاجية**
د. مها الجريس

٢٥ **فاصل- لوحة للخطاط زكي بن علي الهاشمي**

٢٦ **حوار العدد: مع أ. مهند الهويدي**

٤١ **سَرَنْدِبيّة أمراء سرنديب الثّلاثة: حكايات عربيّة في مجموعة قصص قصيرة إيطاليّة من عصر النّهضة/ رِنْزُو براجنْتِيني- جامعة أودِيني**
ترجمة: أ. سعيد بن عبد العزيز الغامدي

محتويات

٤٨ **المعرفة الشابة: هل يكتفي جيل بلا أستاذ؟**
أ. طارق العياضي الحربي

٥٣ **فاصل- لوحة للخطاط زكي بن علي الهاشمي**

٥٤ **بين حضارتين: عُصاب الجيل الذي ينتمي لهالي هالل**
أ. زيدان الدين محمد

٥٧ **احتياج الدين**
أ. بدر الشهري

٦٠ **الفطرة ك مكنون يقيني**
أ. سندس عمار

٦٤ **فاصل- لوحة للخطاط زكي بن علي الهاشمي**

٦٥ **هل تحتاج المكانة إلى سعي فضلًا عن قلق؟**
أ. مصعب القنيبط

٦٨ **شرفة قارئ**

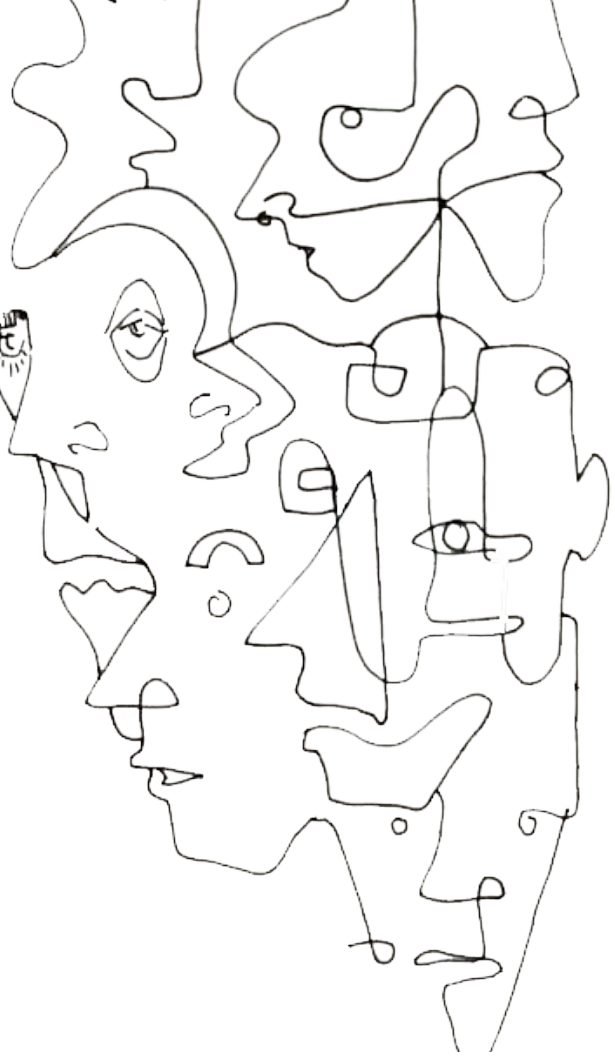

www.dalailcentre.com

AwjYM

تسعى مجلة أوج للوصول إلى الشباب المسلم، ومخاطبة اهتماماته، والتعرف على أفكاره؛ ومن هنا عزمنا في عددنا الحادي عشر على استضافة شخصية شابة لها نشاطها وهمومها وآمالها في زاوية حوار العدد، ووقع اختيارنا على الأستاذ والطبيب مهند الهويدي لنتعرف عليه عن قرب وعلى ما قدمه من جهود في الساحة المعرفية. كما طرحنا في زوايا المجلة موضوعات بأقلام شابة تحدثوا برؤاهم عن أفكار وتحديات تواجه جيلهم، حيث تقرؤون في زاوية مقالات الجمهور: اجتياحات أزمة الرجولة ومشكلات الشباب الحديثة، والمعرفة الشبابية. وتناولت المجلة أيضًا مجموعةً من الموضوعات المعرفية والأدبية، وعددًا من الترجمات الجادة، ولا تزال أوج منبرًا لكل قلم يحمل فكرًا ويرجو أثرًا.

أسرة التحرير

اجتياحات أزمة الرجولة ومشكلات الشباب الحديثة

أ. سامي الحربي
مهتم بالفكر وعلم الاجتماع
تويتر: @tragbki

إن الحضارة الحديثة هي انحدار من الذكورة إلى الأنوثة - يوليوس إيفولا -

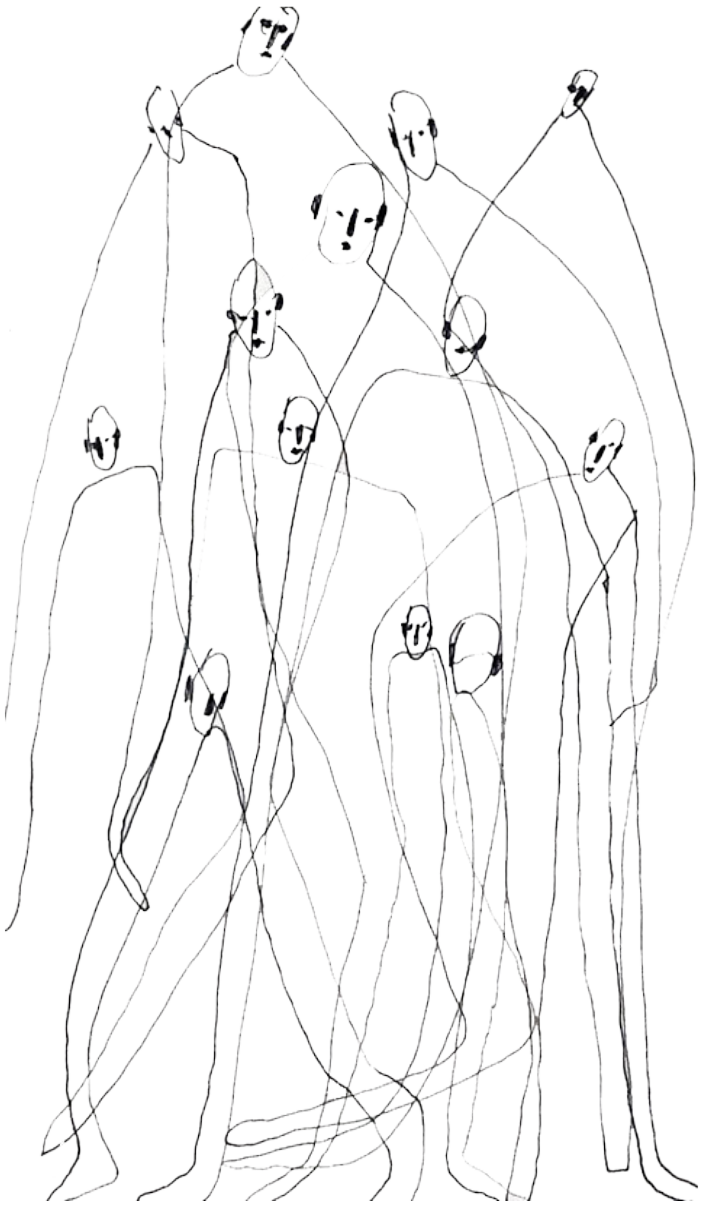

ترتبط إشكاليات الاجتياح بإزالة الخصوصيات الدينية والثقافية والاجتماعية، عبر فرض دلالات ومفاهيم على طرق التفكير وأنماط السلوكيات والصور الثابتة عن الجسد وامتداده وتقسيماته التي تشمل الذكورة والأنوثة، من خلال إزالة الثابت الفطري من معانيها وأشكالها المتجسدة، وإعادة إنتاجها في إطار يتخوف من صورتها الأصلية، وذلك عبر فرض المخاوف من قيم الرجولة والأمومة والطفولة بصفتها قيم اضطهاد وتشويه للحالة الإنسانية، وذلك عبر الأسلوب الحضاري السائد ونمطه البصري الذي يتمركز حول الصورة وعقدة الجمال، وتعميم مفاهيم الجندر ونفوذ حركة الشواذ، وتراجع صورة الآباء وضغط البيئة المساواتية والمشكلة الاقتصادية، وتراجع الرجولة التقليدية المتمركزة حول القوة والشرف والواجب، وسيطرة أنماط الرجولة الحديثة التي تعيد إنتاج ذاتها في أدوار أنثوية.

يمثل الأسلوب الحضاري السائد مرحلة الغريزة، وهي مرحلة تفقد المعاني الدينية فيها وظيفتها الاجتماعية، بحيث تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها بحسب مالك بن نبي، وهي ذات المرحلة التي يطلق عليها ميشيل مافيزولي مرحلة «سيادة الأسلوب الجمالي»(١).

وفقدان المعاني الدينية وسيادة الأسلوب الجمالي تقود إلى ما يطلق عليه إدغار موران «الجماليات المُعمَّمة» وهي أزمة ذوبان الأخلاق في الجماليات(٢).

تشكل الجماليات المُعمَّمة تراجعاً لقيم الرجولة، وخصوصاً مسألة الواجب التي تفرضها التقاليد الأخلاقية، مقابل ارتفاع لعقدة الجمال التي لا تعرف الواجب، بل تدور بين التجميل والانخراط في السلوكيات الأنثوية، وإزاحة الترجل الذي يشكل قطيعة مع العالم الأنثوي.

وتتداخل مسألة الجماليات المعمَّمة في التطورات الحديثة لمفاهيم الرجولة من خلال إعادة إنتاج أساليب الجسد الرجولي عبر تأثير الموضة الحديثة، فبحسب «جوان انتويسل» لعب كل من المصورين وخبراء التجميل ومصممي الأزياء من الشواذ دوراً في تغيير التمثيلات الخاصة بالرجولة، من خلال جماليات الموضة التي أنتجت جماليات شاذة للجسد الرجولي(٣).

والإشكالية الأخرى في الجماليات المعمَّمة هي أنها حولت الجسد الرجولي من إطار واجب الفعل والمسؤولية الأخلاقية، إلى وجوب العرض والمشاهدة من خلال فكرة الجمال والأزياء، والتي استطاعت إبعاد فكرة الإدانة عن الأنشطة غير الرجولية (٤).

وتأثيرات عقدة الجمال الحديثة لا تتوقف عند إشكالية التحرر من الإدانة الأخلاقية للسلوكيات المناهضة للرجولة وإزاحة الترجل، بل تمتد لإشكالية أخرى وهي مشكلة السحاق المعكوس، وهو التفاعل الأنثوي الذي يحرص عليه الشباب مع الإناث لأجل جذبهنّ، وهي إشكالية تواجه فكرة الرجولة التقليدية لأنها تعيد الصفات الأنثوية عند التفاعل مع الإناث وتقدمها على أنها وسيلة رجولية، ولكنها في أصلها ليست إلا خوفاً من قيم الرجولة التي تتعرض للهجوم والمحاصرة من نمط الحياة الحديثة، وفكرة الرجل الجديد الذي ترافق ظهوره مع الحركة النسوية ومجلات الأناقة والقطاع التجاري الخاص بالمنتجات الجمالية الرجالية (٥).

الرجل الجديد هو النموذج المضاد للرجولة التقليدية والتي تتوحد معالمها في الإجماع البشري الفطري حولها، مع أخذ الاعتبار بمسألة التأثيرات الثقافية وفروقاتها التي تمثل نوعاً من الاختلاف، ولكنها تتفق في أن الرجولة التقليدية تشمل الصلابة، والسيطرة، والاعتماد على الذات، والسلوكيات الجسدية المستقيمة، وتقييد التعبير العاطفي، وتجنب المواقف والسلوكيات الأنثوية.

وإشكالية الرجل الجديد تأخذ مظاهر متعددة على مستوى العالم، فهي في الصين ترتبط بما يطلق عليه النساء المزيفات، وفي اليابان تتمثل في مشكلة آكلي العشب، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يرتبطون بالجيل إكس.

تعتبر مشكلة النساء المزيفات من مشاكل الصين الاجتماعية، ومصطلح النساء المزيفات يطلق على الرجال الذين يحاولون منافسة النساء على الرجال، وقد شكّلت مسألة ظاهرة النساء المزيفات نقاشاً موسعاً بين التربويين من الصينين بسبب تأثيرها على الشباب والأطفال٠

يشير التربوي الصيني يونشياو صن إلى أن ارتفاع منسوب التنعم بين الشباب الصينين يرتبط بتراجع البيئة المناسبة لطبيعة الذكر، والتي ترتبط بالمغامرة والمنافسة والرياضة الخشنة؛ والتي قللتها الأنظمة التربوية في الصين من خلال مساواة طبيعة النشاط الذكوري مع طبيعة النشاط الأنثوي في المراحل الأولى والمتوسطة للنظام المدرسي بحسب يونشياو صن٠

ويشير يونيشاو صن إلى أن أزمة التنعم بين الصينين ترتبط في بعض جوانبها بمسألة الأمهات المستبدات داخل الأسرة، وذلك بسبب أنهنّ لا يحافظن على صورة الأب أمام الأولاد لأن المحافظة على صورة الأب تحفز الأولاد لتولي دور الرجل(٦).

وتربط عالمة الاجتماع «لي وينهي» بين ارتفاع نسب تنعم الشباب في الصين، وبين التفاعل مع الإناث اللواتي يساهمن في صياغة سلوكيات وتصورات ذات مضامين أنثوية يحاول الشباب تقديمها عن أنفسهم (٧).

وتتقارب إشكالية النساء المزيفات وتأثيراتها وخصوصاً في مسألة تراجع صورة الأب في العائلة الحديثة، مع إشكالية جيل إكس الأمريكي، وهو جيل ولد ونشأ ما بين الستينيات والثمانينيات وعايش مجموعة من التحولات الاجتماعية والسياسية

والاقتصادية، والتي أثرت على بنية الأسرة والتصورات الفكرية والعاطفية والسلوكيات، فلقد كان إشراف الأسرة على مسار تربية الأطفال من جيل إكس منخفضاً مقارنة بالأجيال السابقة، بسبب اتجاه الوالدين لسوق العمل، وظهور أسرة المربي الواحد، وتأثيرات الطلاق؛ كل تلك العوامل جعلت من جيل إكس أكثر ميلاً لليبرالية على مستوى القضايا الاجتماعية.(٨).

ويوضح بيتر ساكس الخصائص النفسية لجيل إكس:

أ- ليس لديهم قدرة على التحمل عند القيام بأي عمل جدي.

ب- تلاشي فكرة الألم من قاموسهم الأخلاقي.

ج-تضخم المشاعر والاستحقاق العالي.

ويشير موريس بيرمان «إلى افتقادهم للقوة النفسية اللازمة لتحمل الانتقاد، ويفسر ذلك في إطار العزلة الحديثة، والخوف من مشاركة حياتهم مع الناس، والتعلق بالمشاهير حتى يتغلبوا من خلالهم على خوفهم»(٩).

إشكالية الرجل الجديد تأخذ مظاهر متعددة على مستوى العالم، فهي في الصين ترتبط بما يطلق عليه النساء المزيفات، وفي اليابان تتمثل في مشكلة آكلي العشب، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يرتبطون بالجيل إكس

تتداخل إشكاليات تقلص إشراف الأسرة وظهور أسرة المربي الواحد وتأثيرات الطلاق في جيل إكس، مع إشكاليات الرجولة في العالم الحديث، وحول ذلك يلاحظ عالم الاجتماع البريطاني ديفيد مورغان أن أزمة الذكورة الغربية ترتبط بالتغييرات الاقتصادية والتحولات المجتمعية، مثل معدلات الطلاق المتزايدة، وتحدي النموذج التقليدي للجنسين، وظهور أسرة المربي الواحد -والتي ترأسها النساء في الغالب-، كل تلك العوامل في نظر مورغان تقوض وتعطل الذكورة.(١٠).

وتمتد تأثيرات إشكاليات الرجولة على مستوى الثقافة الأمريكية، إلى الخلل في صورة الأب وتضخم عقدة الجمال بين الشباب، وذلك بسبب تدهور العائلة التقليدية، والتي ضخّم تدهورها عدم القدرة على التماهي مع أب راعٍ، فَتَرك الأفراد يُظهرون اعوجاج سلوكياتهم وأخلاقهم، بدلاً من إخفائها وتقويمها، وهكذا أصبح الطفل يشعر بالقلق تجاه غياب والده، ويبحث عن تعويض خارجي من خلال الثروة والتركيز على الجمال كما يقول كريستوفر لاش(١١) .

ويشير «جوناثان هايدت» إلى أن ضعف الآباء الأمريكيين انتقل إلى الجيل الجديد من الشبان الأمريكيين، عبر تعزيز فكرة أنهم في خطر، ويحتاجون للحماية من كل شيء، والذي شكّل هشاشةً في النفس الأمريكية الشابة.

وترتبط «جوانا ويليامز» بين ارتفاع الضعف في شخصية الأب الأمريكي، وبين ارتفاع عمليات التحول الجنسي لدى المراهقين الأمريكيين.(١٢).

تتداخل إشكاليات الرجولة في اليابان مع الإشكاليات الصينية والأمريكية، من خلال المسألة الاقتصادية، وتراجع الدور التقليدي للرجل، وظهور الأنماط الجديدة من الرجولة، والخوف من الألم، فقد كان لسوء الوضع الاقتصادي تأثيراً على تصور الشاب الياباني عن ذاته؛ بسبب عدم قدرته على تحمل إشكالية الوظيفة قليلة الدخل، فكانت المواجهة تتمثل في إنشاء تعدد لصور الذكورة، والتي تتصادم مع المفاهيم التقليدية للرجولة في اليابان.

ومن أنماط الرجل الجديد في اليابان نموذج (soushokukei-danshi) والتي تعني آكلي العشب، والذين يتصفون بعدم الحزم في حياتهم، ويفتقرون للمغامرة والإقدام، وبتقلص رغبتهم في الزواج، وعدم التمسك بالمفاهيم الرجولية للجيل القديم، ولديهم استعداد تام للانخراط في السلوكيات الأنثوية، والقيام بأدوارها، ولديهم ارتباط عالي بالمنزل، فلا تحديات خارجية، بل بقاء دائم في المنزل(١٣).

ويربط الفيلسوف الياباني ماساهيرو موريوكا بين ظهور نموذج الشاب العشبي، وبين الأسلوب الحضاري السائد والذي يطلق عليه الحضارة الخالية من الألم، والتي يتم البحث فيها عن حياة بلا واجبات، وبلا تضحيات، وبلا مسؤوليات، والتي لا يمكن تخيل الرجولة عبرها(١٤).

خلاصة أزمة الشباب والرجولة تتمثل في غياب المعايير الدينية، وضغط الحركة النسوية على معايير الرجولة والأنوثة، والبيئة المساواتية، والقضاء على صورة الأب، وصياغة نماذج ضعيفة من الآباء، والتفاعلات الأنثوية، وتضخم عقدة الجمال بدلاً من الواجب، والتي تشمل العالم أجمع الذي يدور في إطار ضغط حضارة الحياة الخالية من الألم والأسلوب الجمالي، وهو نمط حضاري مُعادي للدين الذي بدونه تتخبط معاني الرجولة ووظائفها وأدوارها الحقيقية.

المراجع:

١-مالك بن نبي-شروط النهضة-ص٧٠.

٢-إدغار موران-في الجماليات-ص٣١.

٣-هلين توماس-الأجساد الثقافية-ص٩٠-٩٢-٩٦.

٤-المرجع السابق-ص٩١.

٥-المرجع السابق-ص٩٠.

6- Masculinity in crisis in postsocialist China-Tiantian Zheng-p11-12 .

٧-المرجع السابق-ص١٤.

8- Generation X- Encyclopaedia Britannica.

٩-موريس بيرمان-انحطاط الحضارة الامريكية-ص٧٢-٧٣-٧٤.

10- Noam Shpancer. Is Masculinity in Crisis? If So, What Should Be Done.

١١- لن هاو-النظرية النقدية-ص١٥٢.

12- The Corrosive Impact of Transgender Ideology. Joanna Williams,-p82-83.

13- Floating young men: Globalization and the crisis of masculinity in Japan .

14- Masahiro Morioka, Confessions of a Frigid Man-p181.

ثقافة المراهقة في القرن الحادي والعشرين

جريجوريو لوري (١)

ترجمة: أ. رغد الظاهري

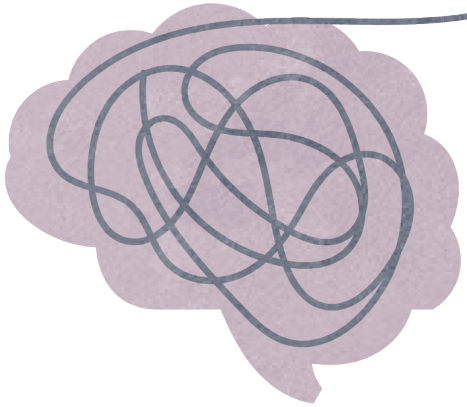

كان عالم الاجتماع الأمريكي جيمس كولمن أول من لاحظ في خمسينيات القرن الماضي ظهور مرحلة المراهقة كمجتمع ثقافي جديد يقع بين الطفولة وعالم الكبار. المراهقون موجودون دائمًا، لكن ثقافة المراهقة ظاهرة جديدة صعودها عائد إلى عولمة التعليم وما تلا ذلك من نقل المسؤولية من العائلات إلى المدارس. وقد تم تصويرها وكأنها العتلة الرافعة للتغير الاجتماعي لأنها ستتيح تعميم التعليم لكل الشباب الصغار، وهو ما سيساعد على تغلب العائلات على القيود الثقافية. مع هذا، فقد أشار كولمن أن المراهقين كانوا أكثر اهتمامًا بشعبيتهم من نموهم الفكري.

ابتُكرت المدارس لتسهيل عملية الانتقال من الطفولة إلى المواطنة، لكن أطفال المدارس استغرقوا في العيش بثقافة مغلقة على نفسها، يقاومون قوالب الكبار ويتقبلون نماذج جيلهم بلا نقاش!

المجتمع المراهق الجديد هو ثقافة مستقلة، يمتلك المراهقون لغتهم ولباسهم وموسيقاهم الخاصة، بالإضافة إلى طرق تواصل ونماذج سلوكية خاصة، والتي قد تُعرّف أنها الضد تمامًا من نماذج آبائهم. وكل هذا رُوّج عن طريق الدعايات لأن ثقافة المراهقة أنعشت سوقًا جديدة بإمكانات استهلاك عالية.

مراهقون في الثلاثين

كتب كولمن في العام ١٩٥٩: «نحن نعيش في مفارقة غير مألوفة: في مجتمعنا الصناعي المعقد هناك أشياء أكثر علينا تعلمها، والتعليم العام تزداد أهميته لإتاحته فرص حياتية أكبر، لكننا اختلقنا ثقافة كبرى من المراهقين الذين أظهروا قليلاً من الاهتمام بالتعليم، بينما يشعرون أنهم خاضعون لأمور لا علاقة لها بالمدرسة».

وإنه من الواضح أن كولمن لم يمتلك الكلمة الأخيرة في موضوع المراهقة. اليوم نلاحظ أن مفهوم المراهقة وسّع حدوده فصار في أقل حَده يشمل البلوغ، في حين أننا نرى كلنا على الجانب الآخر مراهقين -إن أردنا أن نكون أكثر لطفًا- في عمر الثلاثين. تريد اليافعات في العاشرة ارتداء ملابس مثيرة، في حين يريد رجالٌ في الثلاثين من أعمارهم ارتداء ملابس المراهقين!

الأطفال أصبحوا يمنون أنفسهم بعمر المراهقة، في حين يتمنى المراهقون تأجيل حياة سن

الرشد، تشير الإحصائيات أن ٢٥٪ من مشاهدي قنوات الأطفال في الولايات المتحدة هم من البالغين.

مراهقو اليوم بعكس مراهقي الخمسينيات تبدو عليهم بعض السذاجة، ما نسبته ٧٠٪ من مراهقي ذلك الزمان لم يدخن ولم يشرب، ولم يطرق ذهن كولمن أن يسألهم فيما إن كانوا يتعاطون المخدرات أو إن كانوا يمارسون جنسًا آمنًا. وفقًا لدراسة أجرتها وكالة الصحة العامة في برشلونة ما يقارب ٤٧٪ من الفتيات و ٤٣٪ من الفتيان اللذين تبلغ أعمارهم ستة عشر عامًا اعترفوا أنهم اختبروا تجربة السُكر مرة واحدة على الأقل في السنة الفائتة. متوسط العمر الذي يشرب به الطفل هو ١٣,٧،

والمراهق العادي اليوم يمتلك ضعفيّ ما يمتلكه المراهق في عهد كولمن، والفتيات صرن يحلمن بإجراء العمليات التجميلية فور بلوغهن سن الرشد. فكلما تعقد المجتمع، اتسعت الفجوة بين اهتمامات الأطفال العفوية ومتطلبات المعرفة الضرورية في عالم الكبار، ولكن لأننا أصبحنا نشيد بالعفوية بشكل متزايد في ذات الوقت، فإننا بدأنا نخشى أن يصبح المراهقون النموذج السلوكي لمجتمعاتنا. ألا نرى اليوم أن الخصائص النفسية التي كانت حصرًا في العادة على المراهقين، كالارتباك، والتردد المستمر، والتقلبات المزاجية غير المتوقعة، وكراهية مظهر الإنسان الخارجي...إلخ، انتقلت الآن إلى مجموعات عمرية أخرى؟

بغير مواجهة المستقبل

مراهقونا يعيشون في عالم حيث الشعور بالممكن في نمو مستمر على حساب الإحساس بالواقع. وهي نتيجة محتومة لأنهما قوتان متضادتين. الجملة «كن واقعيًا، واطلب المستحيل» ليست مجرد شعار بعد الآن، بل عقيدة. إن كان مراهقو السابق هُيئوا لممارسة بعض الطقوس ليصبحوا بالغين، فإننا الآن بالحقيقة لا نعرف على وجه التأكيد إن كان لدينا حياة بالغين نقدمها للمراهقين. وفي الحقيقة، فإن ما نقترح عليهم فعله على الدوام هو الموافقة والتكيّف. في المدارس، هم يلقنون أن معرفة الأشياء أقل أهمية من معرفة كيفية إعمال الأشياء، ومن ناحية تقليدية، فإن المعرفة كانت السبيل الفكري للاعتناء بالروح لقدرتها على إكسابنا تجارب النظام، بينما نحن اليوم نشجع العيش مع اضطراب سرعة التلاشي.

نصيحتنا للمراهقين هي: «كن ماءً يا صديقي»، لا تتبلور، لا تدع الحدود تقيدك، كن قابلًا للتكيف.

ومن المفاجئ أن مجتمعًا جعل الاستقلالية والحس النقدي قطبا الدين العلماني اليوم؛ قد تمكّن من مصالحة نفسه مع الحدود و تقبل أن الشيء الوحيد المعلوم عن المستقبل هو حقيقة أن لا تعريف له كعقيدة لا شك فيها، وأن علينا تجهيز الأجيال القادمة ليواجهوا ويتكيفوا مع مستقبل لن يكف عن التغير، وكما نكرر نحن: أنهم سوف يشاركون في أنشطة لم تُخترع، بأدوات لم تُصمم بعد، ويحلون مشاكل لم تواجهنا بعد.

أول من أشار لذلك كان بيتر موغر في العام ١٩٦٦، أي قبل ٥١ عامًا. "راشدو الغد"، كما قال "سوف يواجهون مشاكل من طبيعة لا نستطيع تخيلها اليوم، وسيعملون في وظائف لم تُخترع بعد» والتقط بيل كيلتون في العام ١٩٩٦، ذات الفكرة وبالمثل سكرتيره في التعليم ريتشاد رايلي في العام ٢٠٠٤: «الوظائف التي ستكون في غاية الأهمية في العام ٢٠١٠ لم توجد بعد، عُمّال المستقبل القريب سيستخدمون تكنولوجيا لم نخترعها بعد لحل مشاكل لا نتوقع أبدًا اليوم أنها ستكون مشكلات الغد».

أستطيع اقتباس مئات التصريحات المتشابهة قيلت في أكثر

البيئات جدية بلسان شخصيات تُعتبر ذات كفاءة.

سوف أضيف فقط التحذير من المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس العام الماضي، والذي أصر في تقريره المعنون بـ «مستقبل الوظائف» أن «٦٥٪ من الأطفال الذين بدأوا دراسة المرحلة الابتدائية سوف ينتهي بهم المطاف بالعمل في وظائف جديدة بالكلية، والتي لم تظهر للوجود بعد»

وبالمختصر، نصيحتنا للمراهقين هي: «كن ماءً يا صديقي»، لا تتبلور، لا تدع الحدود تقيدك، كن

قابلًا للتكيف، ولكننا نحن البالغون المشار إليهم في حديث موغور، كيلنتون و رايلي و بعض منّا تقاعد بالفعل. لذا إن أردنا أن نعرف ما هي مهارات المستقبل، فعلينا أن نتعلم من أكثر أشخاص اليوم كفاءة والذين يقومون بالفعل بحل المشكلات الجديدة، ومستخدمين لأدوات حديثة بنجاح.

إذا نظرنا إليهم، فإننا سنجد الخصائص التالية:

١- التحكم بالانتباه، والذي قد يكون النوع الجديد من الذكاء.

٢- تعلُّم مستمر يُمكِّنهم من أن يكونوا ناجحين.

٣- قدرتهم على بناء الثقة ووفائهم لكلمتهم.

٤- القدرة على تقديم مساحة مراجعة بين ظهور الرغبة والاستجابة، لكي يتم تنظيم الفعل، وهذا ما نسميه مهارة التفكير النقدي. أتفهم سخط الطفل، لكني أيضًا أحفظ حق رفض الخباز أن تُؤكل مقادير الكعكة قبل الخبز!.

٥- الاستعداد ليس فقط لأن تكون متحضرًا، بل أن يكون لديك نظرة شاملة للحاضر تذهب أبعد من الحاضر نفسه. بغير إدراك ذلك، نحن شهدنا تشويهًا عميقًا لمعنى «الحداثة». الحداثة ما عادت تشير إلى نقطة في الخط الزمني الكوني، بل إلى موضع في ميزان القيم.

لقد تم غرس الحداثة أركيوليجيًا إلى درجة أن لا أحد يغضب إذا أخبرته أنه مخطئ، لكن إياك أن تصفه بأنه رجعي أو قديم. الإنسان الحداثي لا يحسّ بأنه جزء من تقليد، بل يعيش مبهوتًا بالتغيرات الجديدة، مقتنعًا أن الوجود قابل للتحسين. والذي يزيد من قيمة الإنسان اليوم هو حيازته لآخر قطعة من الأعضاء الأنثروبولوجية -آخر جهاز تكنولوجي- والذي يزيد من وعيه بما هو ممكن.

«فقط ابحث عنه بقوقل»

ما نسميها بمهارات القرن الواحد والعشرين ما هي إلا وهم. لم تفقد المعرفة ولا الذاكرة أو الفضائل الفكرية القديمة قيمتها. الذي نُزعت قيمته هو المعلومات الإجمالية، بينما أُعيد تقييم المعلومات المفلترة بصرامة.
«فقط ابحث عنها بقوقل» مغالطة، كما هو الترويج للإبداع بغير معرفة.
أول شيء تحتاجه لحل مشكلة بإبداعية هو معرفة المشكلة جيدًا، بالتحديد لأن الجديد لا يتوقف نموه.

إنه لمن الأساسات أن تمتلك قاعدة معرفية جيدة حتى تدمج الحداثة بالسردية. وأنا لا أعرف أي إنسان لا يتمنى امتلاك ذاكرة أفضل، أو أي شخص يعي أهمية الذاكرة طويلة المدى يتعامل مع النسيان بخفّة. هل كان الإبداع والتجديد والتفكير النقدي مفاهيم غير مهمة في الماضي؟ أليس من السخف الرغبة بالتعلم الدقيق دون دراسة جادة؟ هل يمكن لشخص أن يفكر جيدًا دون انضباط فكري؟ ربما من أكبر أسرار عالم الكبار المحفوظة: أن العالم لديه القليل من البالغين رغم كثرة مَن يبدون كذلك. ولكننا لا نستطيع تسليم المراهقين إلى مصيرهم المحتوم بإخبارهم أننا كنا نفعل ذات الأشياء التي يفعلونها عندما كنّا بأعمارهم. لأننا لا يجب أن نقدم لهم نماذج من حياة المراهقة، ولكن من حياة الكبار، الحياة التي يجب علينا كلنا تحمل عبء بنائها.

(1) جريجوريو لوري: وُلد في العام 1955 وعاش في برشلونة منذ العام 1979.درس التعليم في بامبلونا وتخرج في تخصص علوم التدريس ويحمل شهادة دكتوراه في الفلسفة من جامعة برشلونة. تخرج بمرتبة شرف في تخصصه علوم التدريس بالبكالوريوس، وحاز على جائزة التميز الأكاديمي في الفلسفة. نشر جريجوريو ما لا يقل عن خمسة عشر كتابًا بالفلسفة والسياسة و أصول التربية، من ضمنها كتابي «المدرسة في مواجهة العالم» و «مقدمة لمفردات أفلاطون» وغيرها.

مصدر المقال:
/https://www.thenewbarcelonapost.com/en/teenage-culture-21st-century

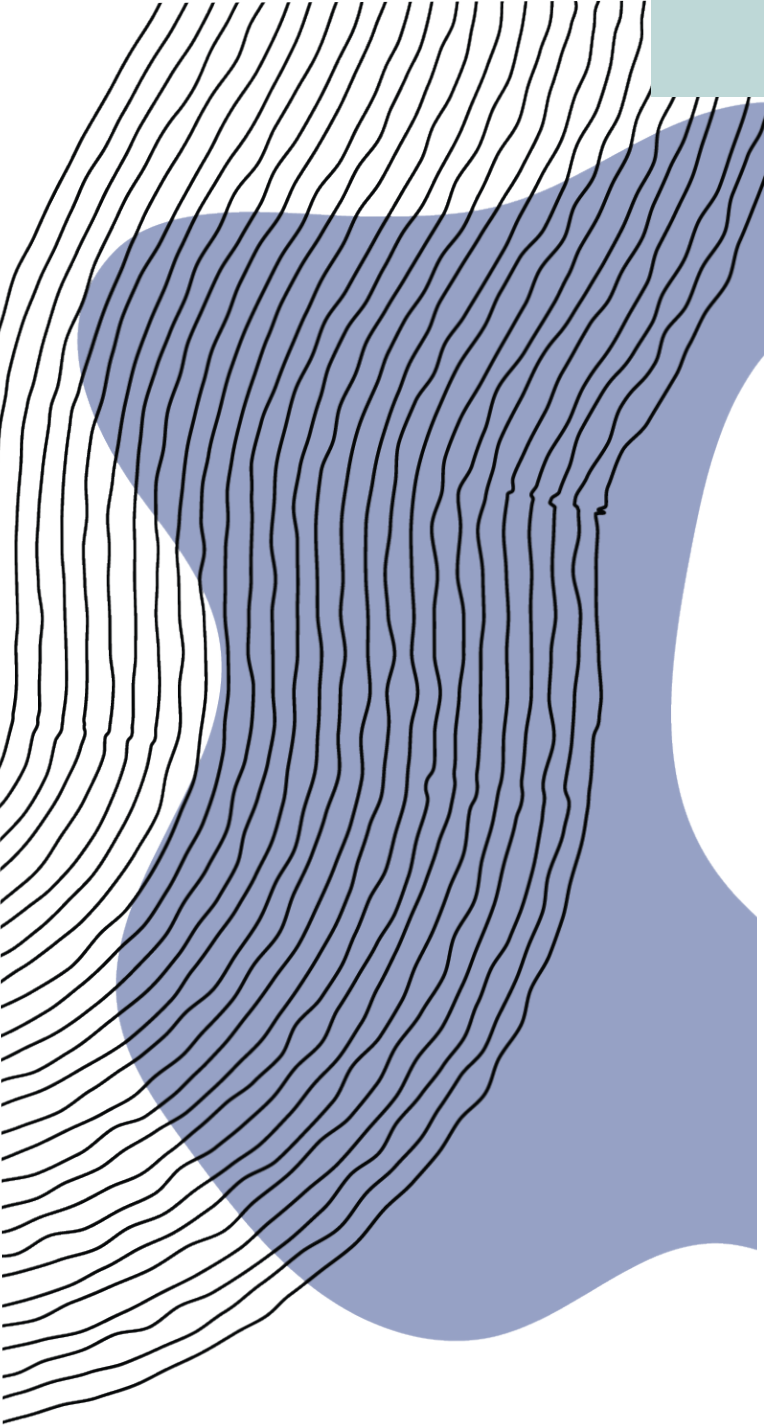

عندمَا عرفتُ اللّه

أ. هلا العريفي
مترجمة وطالبة دراسات قرآنية

ذقتُ بلاءً منذ زمن كان بابًا من أبوابِ الرّحمة الإلهية، ولجتُ منه إلى جنّةِ معرفةِ الله بأسمائه وصفاته، وأعجز عن وصفِ مشاعري وانسكابِ دمْعي عندما كنت أمضي الساعات في سماعِ شروحاتِها، وامتزاج تلك اللحظات بالأسفِ والحسرةِ على ضياعِ أوقاتٍ من عُمري كنتُ فيها أجهلُ من هو الله!

عندما عرفتُ الله، عرفتُ نفسي، وأدركتُ غايةَ وجودي. تغيّرت نظرتي للحياة وللناس، تحوّلت أهدافي وطموحاتي، وتبدّلت طريقةُ تفكيري. عندما عرفتُ الله سكنت أوجاعي ومخاوفي، هدأت نفسي واطمأنّ قلبي، وأزعم أنّه لا شيء يُعيد صياغةَ شخصيّة الإنسانِ من جديد كالتعرّف على الله جلّ وعلا.

ووالله لستُ أزعمُ أني فقهتُ كلَّ اسمٍ من أسمائه سبحانه، ووصلتُ إلى غايةِ العلم بمعانيها ومقتضياتها. ولكنني أنقلُ شعورًا عايشتُه وجرّبته فآلمني وأرى حالي هذه تتكرر لدى الكثيرين؛ ولا تزيدني الأيام إلا يقينًا أنّ من أكبر الإشكالاتِ التي نواجهها اليوم في عالمٍ مُتسارعٍ وماديّ يسيّرُ وجهةَ البشر نحو مركزيّة الإنسان وتقديس ذاته وملذّاته، هي الابتعاد بهم عن الأصل والمركز ألا وهو معرفةُ الله تعالى.
يقول بعض السلف: «من عرفَ الله تغيّرت معاملته له»؛ فالذي عرف الله بأسمائهِ وصفاتهِ أحبّه لا محالة، وخاف من غضبه ومقته، واستحيا من سترهِ ونعمهِ التي لازال يُكرمُ بها عباده مع ظلمهم وتقصيرهم بحقّه. يقول الشّيخ العلّامة ابن

جبرين -رحمه الله تعالى-: «متى عرَفت الله تعالى بأسمائه وصفاته، كانت النتيجة من ذلك أنك تطيعه، وأنك تعبده، ومتى رأيتَ من يعصي الله ويجاهر بذلك، فإن ذلك يدل على ضعف عقيدته، وأنه ما عرف من يعصي حقَّ معرفته بآياته ومخلوقاته، ما عرف عظمةَ من يعصيه، ما عرف الله بأسمائهِ الحسنى، وصفاتهِ العلى، وكمالهِ وجلالهِ وكبريائهِ وعظمتهِ، كيف يعصيه هذا الآدميُّ الضعيف، وكيف يخرج عن طواعيته، وكيف يبارزه بالمخالفةِ مع علمه بعظمةِ ربّهِ وإلههِ، فعِلمُ العبدِ بعظمةِ الله، وتسميتهِ بالأسماءِ الحسنى، واتِّصافه بالصفاتِ العلى، يحجزه عن معصيةِ خالقه.»

ويوضّح البروفيسور الأمريكي المسلم جيفري لانج هذه الأهمية لأسماءِ الله تعالى، وأثرها على المسلم من خلال قراءةِ القرآن الكريم؛ فيقول: «من خلال قراءةِ المسلمين للقرآن؛ فإنّهم يذكرون وباستمرار أسماء الله وصفاته المقدّسة من خلال هذه التلاوة، والتي تكاد لا تخلو صفحة واحدة من القرآن منها. ومن خلال هذا الذكر المستمر (لأسماء الله) تنطبع رؤيةٌ معينة بشكلٍ تلقائي على قلبِ وعقلِ المسلم، وتتنوع في انطباعها تبعًا لنسبة ورود أسماءٍ أو صفاتٍ أكثر من غيرها. وبهذه الطريقة يطور المسلم مفهوماً عن الله أبعد ما يكون عن الماديّة.»(١)

فالتعرّض المستمر لآياتِ الله وتعاهدِ القلب بُسقياها وما تحمله مضامينها من تعريفٍ بالله عز وجل هو مما يغذّي العلاقة به ويقوّيها، ويمتدّ أثره إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فيصحح تفكيرَ الإنسان وتصوّراته حول الكون والغاية من الوجود، ويحسّن من تعاملاته مع غيره من بني البشر والمخلوقات التي خلقها الله عز وجل على هذه الأرض. إذًا فمعرفةُ الله تعالى ليست قضيةً إيمانيّة تعبّدية فحسب؛ إنّما هي حاجةٌ عقليةٌ ونفسيّةٌ وأخلاقيّةٌ واجتماعيةٌ تستقيم بها حياةُ الإنسانِ، وتهدأ معها نفسه المضطربة، وتصحّ بها أفكاره وآراؤه، وتصلح بها سلوكيّاته. وأيّ خللٍ يطرأ على هذه المعرفة؛ فمن شأنه ألا يُفسِد العبودية لله فقط، إنّما يُفسِد التفكيرَ والفطرةَ والخُلُق.

مشاهدُ القدرة ودواعي التّعظيم

فإذا كانت لأسماءِ الله تعالى وصفاته تلك الأهميةُ البالغةُ في تقويم علاقةِ العباد بربّهم؛ فلا عجب أن يُعرّف الله عباده بنفسه في كتابه في غير ما آيةٍ؛ فيختم بأسمائه وصفاته حُكمًا من أحكامه، أو أمرًا من أوامره، أو قصةً من قصص السّابقين وأخبارهم. وإذا أدركنا هذه الأهمية وأردنا استصلاح نفوسنا بمعرفةِ الله؛ فكيف ننالها؟ يبيّن ابن القيم -رحمه الله- تعالى الطرق الموصلة لمعرفةَ الله: وهما طريقان، الأولى: بالنظر في مفعولاته، والثّانية: بتدبّر آياته والتفكر فيها.(٢)

وهذان الطريقان يتجاوران في كتابِ الله تعالى بتنوّعٍ باهر؛ فمع كونِ كلّ سورة تمتازُ بمقصدٍ خاصٍ بها، وتركزّ على موضوعٍ تدور معظم آياتها حوله، إلا أنّها تدعو في ثناياها إلى النّظرِ في أفعالِ الله، والتفكّر في آياتهِ. ومن السور التي تركّز على التعريف بالله جلّ وعلا خاصةً: سورة فاطر، فأحد أهمّ مقاصدها هو عرضُ مشاهدِ قدرةِ الله تعالى والإبداعِ في الخلق، وبواعثِ تعظيمه وخشيته، والإيمان به وتذكّر آلائه.(٣)

إنّ سورةَ فاطر من السورِ العذبة التي تركت فيّ أثرًا عند دراستها، فحينما جُلت في رحابِها ودروبِ الرّأفةِ والعظمةِ الإلهية فيها، استحضرت نفسي أثناء هذا التجوال ضعفَها وفقرَها وحاجتها الدائمة لربّها الغنيِّ عنها، استحضرت جهلها وقصورَ علمها والصّوارف التي تتجاذبها في كلّ حين؛ ولولا تثبيتُ الله فلن تثبتَ أبدًا!

عندما قرأتُ فاطر أيقنتُ أنّ المتضادات لا تستوي؛ فلا الأعمى كالبصير، ولا الظّلماتُ كالنّور، ولا الظّل كالحَرور، وطريقُ الهداية وطريقُ الضلالة لا يستويان في حالٍ ولا عاقبةٍ ولا مآلٍ. وحين أبصرتُ مخلوقات ربّي البديعةِ في السماوات والأرض وعاينتُها مبثوثةً في جوفِ فاطر، لم أمتلك إلا أن أتصاغرَ أمام تلك العزّة والقدرة، وأرجعُ إلى آفةِ الاغترارِ بالدّنيا والشيطان، بالتقريعِ واللومِ والتبكيت؛ فكأنّما صحوتُ من سكرةٍ سلبتني رُشدي وبصيرتي طويلًا، بعيدًا عن نورِ معرفةِ الفاطر جلّ وعلا.

فهذه وقفةُ عاجزةٍ أمامَ بناءِ هذه السورةِ الرّائقِ والرّفيع، تحاول في هذه الإطلالةِ الموجزةِ على بعضِ آيها، تأمُّلَ صفاتِ ربّها وأسمائه، وآلائه ونعمائه علّ هذا الوقوف أن يُوقظ رُقادَ القلب، ويبُثّ فيه عجلةَ العَوْد إلى الرّب، ويقوي فيه العزمَ على العنايةِ بمعرفةِ الله قبل أيّ شيءٍ آخر.

الإيجادُ والإمدادُ

﴿الحَمدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرضِ جاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلًا أُولي أَجنِحَةٍ مَثنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزيدُ فِي الخَلقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ [فاطر: ١]

«افتتاحٌ بالحمد مؤذنٌ بأنّ صفاتٍ من عظمةِ الله ستذكر فيها»(٤)، والحمد كما قال بعض المفسّرين يكون بالمنعِ والإعدام، كما يكون بالإعطاء والإنعام(٥)؛ فالله هو المحمود على كلّ حال. تحمدهُ سبحانه وأنتَ ترى هذا الإبداعَ في السماوات بأفلاكها وأجرامها وكواكبها ونجومها، والأرض بنباتاتها وثمارها وجبالها وسهولها، هذا هو خلق الفاطرِ سبحانه الذي أوجد كل شيءٍ على غير مثالٍ سابق. أَعِد النّظر وقلّبه في هذه المخلوقات، وستراها شاهدةً على الواحد، ناطقةً باستحقاقه للتعظيم والمحبّة والشكر. في كنفِ فاطر دعوةٌ إلى تقليبِ الأبصار في الريّاح والمطر،﴿وَاللَّهُ الَّذي أَرسَلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحابًا فَسُقناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحيَينا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها كَذلِكَ النُّشورُ﴾ [فاطر: ٩]، في كنفِ فاطر نداءٌ إلى التفكّر في تسخيرِ البحر، وتكوينِ البشر: ﴿واللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُم أَزواجًا وَما تَحمِلُ مِن أُنثى وَلا تَضَعُ إِلّا بِعِلمِهِ وَما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلّا في كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿وَما يَستَوِي البَحرانِ هذا عَذبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلحٌ أُجاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأكُلونَ لَحمًا طَرِيًّا وَتَستَخرِجونَ حِليَةً تَلبَسونَها وَتَرَى الفُلكَ فيهِ مَواخِرَ لِتَبتَغوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴾ [فاطر: ١٢]، في سورةِ فاطر تذكيرٌ بما اعتدناه وألِفناه من تعاقبِ ليلٍ ونهار، وشمسٍ وقمر: ﴿يولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجري لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ وَالَّذينَ تَدعونَ مِن دونِهِ ما يَملِكونَ مِن قِطميرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، يعلّق ابن عاشور -رحمه الله- على اسم الإشارة في الآية بقوله: «وعدلَ عن الضمير إلى اسم الإشارة لإفادة أنه تعالى معلومٌ متميزٌ بأفعاله المنفرد بها بحيث إذا ذُكِرت أفعاله تميّز عما سواه فصار كالمشاهد المشار إليه.»؛ فسبحانَ الفاطرِ الذي أحسن كل شيءٍ خلقه، والحمدُ له عدد ما خلق وملء ما خلق.

خزائنُ الرّحمة

﴿ما يَفتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَها وَما يُمسِك فَلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ [فاطر: ٢]

هذا هو الرّحيم المتكفّل بتدبيرِ شؤون عباده، وتربيتهم بالمنع، والعطاء، والإمساك، والإرسال. ترى العالمَ يموجُ في حالةٍ من الهلع عند فواتِ الحظوظ وتجدد الأزمات، يطرق النّاس أبوابَ بعضهم بعضًا، ويضلّون الطريق إلى بابِ الله لجهلهم عزّته وقدرته، ونسيانهم قربَه وإجابته. إنّ المُتبادر إلى أذهاننا القاصرة أن تختتم الآية بذكر صفات الرحمة، ولكنّ الله جل وعلا يعلّمنا أنه العزيز الذي له عزّة القهر والغلبة والامتناع والقوة، فهو وحده القادر على الإمساك والإرسال الغالب لكل شيءٍ ولا غالب له. وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، «ويفعل في كلٍّ من الإمساك والإرسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويُتقِن ما أراد على قوانين الحكمة.»(٦)

إنّ أعظم رحمة يمكن أن تحظى بها هي أن تعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته في كتابه، إنّ أعظم نعمة هي أن يفتح لك الفتّاح من خزائن الهدى ما يلمّ شعثَ قلبك، ويجمع شتاتَ فكرك، وينتشلك من همومك وأحزانك، وينوّر بصيرتك؛ فتصير لا ترى المنع إضرارًا كما يرى ذلك بعض النّاس، ولا ترى العطاء رضًا على كل حال كما يعتقد المغرورون. ولا ترى البشر يملكون لك ضرًّا ولا نفعًا، بل هم ليسوا إلا عبيدًا لله، يملكهم ويوجههم حيث يشاء. «وما أدعى هذه الآية إلى الانقطاعِ إلى الله تعالى والإعراض عما سواه عز وجل.»(٧)

حقيقةُ الفقْرِ

﴿يا أَيُّهَا النّاسُ أَنتُمُ الفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَميدُ﴾ [فاطر: ١٥]

إنّها آيةٌ تكشف لنا الحقيقةَ المدفونةَ في أعماقنا التي أنستنا إيّاها النّعم الغارقين بها، إنّها آيةٌ تصارحنا بضآلتنا حين نبارز الملك في حكمه وربوبيّته على خلقه، «آيةٌ فيها قرعٌ للأسماع بما لم تكن تُقرع به من قبل عسى أن يستفيقَ الناس من غفلتهم ويتكعكعوا عن غرورِ أنفسهم»(٨). كما يخبرنا ربّنا فيها بوصفنا الحقَّ، وأننا فقراء إليه من جميع الوجوه:
فقراء في إيجادنا، فلولا إيجاده لنا، لم نوجد.

فقراء في إعدادنا بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إيانا [بها]، لما استعدينا لأي عملٍ كان.
فقراء في إمدادنا بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لنا من الرزق والنعم شيء.
فقراء في صرف النقم عنا، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد.
فقراء إليه، في تألّهنا له، وحبنا له، وتعبّدنا إياه، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقنا لذلك، لهلكنا، وفسدت أرواحنا، وقلوبنا وأحوالنا.
فقراء إليه، في تعليمنا ما لا نعلم، وعملنا بما يصلحنا.(٩)

كما أنّه لاتساعِ معارفنا وسريان أفكارنا وانتشار عقولنا، تكثر نوازعنا كبشر وتتفرق دواعينا فيشتدّ احتياجنا له سبحانه(١٠)، وفي تمركزنا حول ذواتنا، وانغماسنا في الملذّات واللهو، وتفريطنا فيما خُلقنا لأجله وهو معرفةُ الله وعبادته، يؤدّي بنا إلى اختلالِ الموازين الصائبة وضياعِ القيمة والمعنى.

ثمّ إنّنا مع فقرنا الشديد، وغنى الله تعالى المطلق عنّا، إلا أنّه سبحانه من رحمته يحمد من توجّه إليه من عباده ويشكر لهم سعيهم. ولذا اقترن اسمه الحميد بالغني في ختامِ الآية لإفادة هذا المعنى كما ذكر ذلك ابن عاشور رحمه الله.

باعثُ الخشيَة

﴿وَمِنَ النّاسِ وَالدَّوابِّ وَالأَنعامِ مُختَلِفٌ أَلوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخشَى اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ غَفورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]

ما الذي جعل هؤلاء يخشون الله تعالى؟ ما الذي قام في قلوبهم حتى حُصرت الخشية فيهم؟ يقول ابن عباس كما أخرج عنه ابن جرير أن المراد بالعلماء في الآية هم الذين يعلمون أن الله تعالى على كل شيءٍ قدير. (١١) وماذا يعني أن يعلم الإنسان أنّ ربه على كل شيءٍ قدير؟ يعني أن يعلم أنه لا يعجزه شيءٌ في السماوات والأرض، أنّه لا يغفل عن ظالمٍ ولا مستهينٍ بحقّه، لا يغيب عنه حال أحدٍ من الناس، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في ملكه. وعلم الإنسان أن ربّه مطلعٌ عليه، عليمٌ بحاله لهو من أقوى دواعي الرّجاء والخشية والحياء منه عزّ وجل. يقول ابن عاشور في عبارةٍ لطيفة -أسأل الله أن يجعلنا من أهلها-: «وغير العالم إن اهتدى بالعلماء؛ فسعيه مثل سعي العلماء وخشيته متولدةٌ عن خشيةِ العلماء.» ثمّ لنتأمّل ختام الآية الذي يؤكّد على ضرورة وجود الخشية من الله في القلوب: لقد جاء اسم الله العزيز فيها لأن العزّة دالةٌ على كمالِ القدرة على الانتقام، فكيف لا نخشى الله ولا نخاف منه ونأمن مكره وهو العزيز القهّار المقتدر؟ وكيف لا نخجل ممّن يرحم ضعفنا ويتجاوز عن تقصيرنا ويدعونا لرحمته فيقول عقب ذكر عزّته إنه غفور، كي تستبشر النفوس ولا تيأس من حالها؛ فتقترب من ربها راجيةً رحمته طامعةً بمغفرته.

تجارةُ العلمِ

﴿إِنَّ الَّذينَ يَتلونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرجونَ تِجارَةً لَن تَبورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُم أُجورَهُم وَيَزيدَهُم مِن فَضلِهِ إِنَّهُ غَفورٌ شَكورٌ﴾ [فاطـر: ٢٩-٣٠]

وكأنّ الأسماعَ تشوّفت لمعرفةِ هؤلاء العلماء، من هم؟ وما صفاتهم؟ فبيّن سبحانه أن هؤلاء العلماء الذين يخشونه ليسوا أهلَ أيّ علم، هم أهل العلمِ بالله وشرعه، أهل القرآن والصلاة والصدقات وشتّى أنواعِ القُربات(١٢)، هم الذين يرون حقائق الأمور وبواطنها ولا تغرّهم ظواهرها، ولا تحجبهم الدّنيا وعلومها ومكتشفاتها عن الارتباط بدينهم ونسبةِ الأفضالِ إلى خالقهم وشكره بالقول والعمل، هم الذين يرون في أرضِ الله وسمائه ما يُذكّرهم به ويقرّبهم منه، ويجلّي لهم حقيقة لقائه والدار الآخرة كأنّهم يرونهما رأي العين ﴿إِنَّ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الأَلبابِ ۝ الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلى جُنوبِهِم وَيَتَفَكَّرونَ في خَلقِ السَّماواتِ وَالأَرضِ رَبَّنا ما خَلَقتَ هذا باطِلًا سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

ويختم الله تعالى هذه الآية التي وصف بها أهل خشيته من العلماء، باسميه الشكور والغفور. فهو سبحانه يشكر لهم إقبالهم عليه، وهو كذلك شكورٌ لكل من أنابَ إليه بصدقٍ ويقبل منه القليلَ من العمل، ويغفر ويتجاوز عن النقصِ والزللِ. فالحمد لله أنّ ربنا غفورٌ شكور، لا تحجبنا ذنوبنا وتقصيرنا عنه، فمتى أخذتنا الدّنيا رجعنا إليه ووجدناه رحيمًا كريمًا ﴿وَهُوَ الَّذي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ وَيَعفو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعلَمُ ما تَفعَلونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

الوَرثـة

هـل هنالـك مُتّسـعٌ لمـن تاقـت نفسـه بعـد ذلكـم العـرضِ لآيـات الله وبواعـث تعظيمـه كـي ينضـمّ إلـى أهـلِ التّجارةِ الرّابحة، ويقتـدي بهـم؛ فيحظـى بقبـسِ المعرفـة ويصيـر مـن أهـلِ الخشـية؟
نعـم .. هُنـا تُفتتـح خزائـن الرّحمـةِ مرةً أخرى، ويتجدد الأمل ألّا أسى علـى مـا مضـى؛ وأقبـل فأنـتَ مـن المصطفَيْـنَ الورثة!

﴿ثُمَّ أَورَثنَا الكِتابَ الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ﴾ [فاطـر: ٣٢]

فـكل هـؤلاء الأصنـاف الثلاثـة: الظالـم لنفسـه وهـو المرتكـب للمعاصـي دون الكفـر، والمقتصـد وهـو مـن اقتصـر علـى فعـل الواجـب وتـرك المحـرم، والسّـابقِ بالخيـرات وهـو المـؤدي للفرائـض، التـارك للمحـرم والمكـروه، والمكثـر مـن النوافـل. فـكلّ أولئـك ممـن اصطفاهـم الله تعالـى مـن أمـةِ محمـدٍ صلـى الله عليـه وسـلم، لوراثـةِ الكتـاب وإن تفاوتـت مراتبهـم واختلفـت أحوالهـم؛ فلـكل واحـدٍ منهـم حـظٌ مـن هـذه الوراثـة حتـى الظالـم لنفسـه.(١٣)

كمـا وعـد الله تعالـى جميـع هؤلاء الأصنـاف الثلاثـة بالجنـة فـي الآيـةِ التـي تليهـا: ﴿جَنّاتُ عَدنٍ يَدخُلونَها يُحَلَّونَ فيها مِن أَساوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤلُؤًا وَلِباسُهُم فيها حَريرٌ﴾ [فاطـر: ٣٣] وحُـقّ لهـذه الـواو فـي قولـه (يدخلونهـا) أن تُكتَـب بمـاء العينيـن، فوعدهـم سـبحانه جميعًـا بدخـول الجنّـة، وأولهـم الظالـم لنفسـه ممـا يـدلّ أن هـذه الآيـة مـن أرجـى آياتِ القـرآن.(١٤) وقـد قـال بعـض المفسّـرين: «وقـدّم ذكر الظالـم لنفسـه لدفـع توهّـم حرمانه مـن الجنـة وتعجيـلًا لمسـرّته.»

لقـد كان ذلـك عبـورٌ خاطـفٌ مـع بعـض آيـاتِ سـورةِ فاطـر، تلكـم السـورة التـي تُعـرّف بـالله وآلائـه ورحمتـه وحلمـه، وتُذكّـر بحقيقـة الإنسـان ومصيـره وفقـره، وتدعـوه إلـى سـلوكِ طريـقِ العلم والخشية. ومـاذا لـو أطلنـا الوقـوفَ علـى كلّ سـورِ القـرآن متدارسـين معانيهـا، متأمّليـن مبانيهـا، متفاعليـن مـع صفاتِ الله وأسمائه فيها بقلوبنا؟ إلـى أي درجـةٍ يمكـن أن يعيـد ذلـك تشـكيل شـخصيّاتنا وتهذيـب سـلوكيّاتنا وتصحيـح توجهاتنـا؟ إنّهـا حقيقـةٌ لا تقبـل المسـاومة، ذاقهـا أصحـابُ رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم، ومَـن بعدهـم فـي مختلـف أقطـابِ الأرض، وسـتظلّ باقيـةً إلى أن يـرثَ الله الأرض ومَـن عليهـا: أنّ إعـادةَ تشـكيلِ البشـر علـى الصّبغـةِ التـي يرتضيهـا الله تحـدث بـكلّ تفاصيلهـا المبهـرة حينمـا نعـرف الله!

المراجع:

(١) جيفري لانج-حتى الملائكة تسأل ص ٨٠/٨١.

(٢) استنشاق نسيم الأنس-ابن رجب ص٨-٩.

(٣) فايز السريح-معالم السور ص١٩٩.

(٤) التحرير والتنوير-ابن عاشور.

(٥) نظم الدرر-البقاعي.

(٦) نظم الدرر-البقاعي.

(٧) روح المعاني-الألوسي.

(٨) التحرير والتنوير-ابن عاشور.

(٩) السعدي بتصرف.

(١٠) نظم الدرر-البقاعي.

(١١) روح المعاني-الألوسي.

(١٢) التحرير والتنوير-ابن عاشور، بتصرف.

(١٣) تفسير السعدي.

(١٤) ملتقى أهل التفسير.

اللامبالاة ليست مجرد حالة مزاجية!

د. مها الجريس
أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك
تويتر: @maha_jorais

قال ﷺ: (لا ألفين رجلٌ يبلغُه الحديثَ عنِّي وهوَ متكئٌ على أريكتِهِ فيقولُ: بيننا وبينكم كتابُ اللهِ، فما وجدنَا فيهِ حلالًا استحللنَاهُ، وما وجدنا فيهِ حرامًا حرمناهُ، وإنْما حرَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ كمَّا حرَّمَ الله)
رواه الترمذي وصححه الألباني.

قد يبدو للبعض أن اللامبالاة مجرد حالة مزاجية عابرة، والحقيقة أنها أبعد من ذلك؛ فقد يكون لها تجليات فكرية وعقدية يشير لها هذا الحديث الشريف!

وقد أشار بعض العلماء في شروح السنة إلى أن المشار إليه هنا في ذكر الأريكة في الحديث، هو (الترف) لأنه مدعاة للفساد والإفساد كما ورد في آي الكتاب الكريم،

ولكن ذلك لا يمنع من توسيع المعنى، لعدم التلازم بين الترف واللامبالاة؛ فإنها قد تقع من غير المترفين.

كما أن وصف النبي ﷺ لهيئة ذلك الرجل وهو يناقش مسألةً كبرى من مسائل الدين بوضعية المتكئ، تدل صراحةً على هذه الصفة؛ جاء في بعض الروايات بلفظ: (يوشكُ أحدُكم أن يُكذِّبَني وهو متكئٌ) ولا عجب فالشخص الذي لا يبالي بغير رأيه، تتحدد رؤيته للأشياء وفق هذه الحالة المزاجية لتنسحب على الأفكار والمعتقدات وما هو أدنى منها على حدّ سواء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المحللين النفسيين يجمعون بين اللامبالاة والازدراء، فيجعلون أحدهما سبباً للآخر، كما يشير الأخصائيون النفسيون إلى أن حالة اللامبالاة التي تلازم البعض إنما هي في الحقيقة هروب من المسؤولية والالتزام؛ وربما يفسر ذلك هروب ذلك المتكئ وأمثاله من ثبوت السنة فإنها قيدت المطلق وخصّصت العام وفصّلت المجمل ووصفت الواجبات بقدر من التفاصيل يستوجب التقيد والالتزام.

ولهذا فمن تأمل هذا الحديث الشريف يجد تلك الحالة في أدق صورها كما وصفها ﷺ.

وفي رواية أبي رافع رضي الله عنه:
(لا أُلْفِيَنَّ أحدَكُمْ متكئًا على أريكتِهِ يأتيهِ أمرٌ مما أمرتُ بهِ أو نهيتُ عنهُ فيقولُ: لا أدرِي ما وجدنَا في كتابِ اللهِ اتبعناهُ).

والمتأمل لعبارة (لا أدري)
بعد سماع هذا الرجل لحديث نبوي، هي ذاتها اليوم ما يعترض به أمثال ذلك المتكئ على بعض الثوابت

وقد كتبت إحدى الفتيات عن الحجاب بعد أن سيقت لها فيه بعض الأحاديث:

(ما أدري، ما أحس إنه واجب)!

فهل هذا جهل؟ أم إعراض؟
أم لا مبالاة بغير النفس ورغباتها؟
إن التكبر والازدراء واللامبالاة وإعجاب كل ذي رأي برأيه دليلٌ على ضياع البوصلة وانعدام المرجعية. وهي نتيجة طبيعية لنزع القداسة عن السنة النبوية، والتي ولدت على يد موجات التشكيك في ثبوت الأحاديث النبوية الشريفة والطعن في موثوقيتها والتشويه لحَمَلتها من الرواة على أيدي المستشرقين وأذنابهم. والمطلع على بعض الحوارات الدائرة في وسائل التواصل الاجتماعي من شبهات حول حجية السنة يجد صوراً كثيرة ومتجددة من أمثال ذلك المتكئ الموصوف في الحديث!

ولا ريب أن موقف الشك والإنكار قد يستند لشبهة أو وهمٍ عارض يزيله العلم وينفيه الدليل؛ غير أن داء اللامبالاة هو إعراض مشوب بالازدراء، لا يكاد ينفع معه الجدل أو الحجاج!

وأخيراً:
إن هذا المتكئ وأمثاله هو من حيث يعلم أو لا يعلم دليلٌ شاهدٌ على ثبوت السنة وصدق ما أخبر به ﷺ فقد وقع منه ما وصفه ﷺ بهذا الخبر العظيم الذي هو من جملة ما أخبر عنه ﷺ مما سيقع في آخر الزمان ولم يكن في عهد الصحابة!

فصلاة ربي وسلامه عليه..

الخطاط : زكي بن علي الهاشمي
حاصل على الإجازة في فن الخط العربي
مستشار وخبير في الخط العربي
@zaki.alhashimi

حوار مع أ. مهند الهويدي

طبيب العلاج الحركي، رئيس اللجنة الطبية في جمعية طيبة للإعاقة الحركية، باحث وناشر في مجال التزكية والفكر والاجتماع

تويتر: malhwede
البريد الإلكتروني: Mohaned7711mm@gmail.com

مهند الهويدي.. ارتبط هذا الاسم بالمفكر عبد الوهاب المسيري، كذلك ارتبط بالكتب والقراءة، و ارتبط أيضًا مؤخرًا بمبادرة إدراك و قناة إدراك المرئية.. فمن هو مهند الهويدي؟

بسم الله الرحمن الرحيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قبل الجواب على سؤالكم الصعب/ الفخ، أود أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للقائمين على هذه المبادرة المميزة، ثم أسأل الله أن يثيبهم ويعظم أجورهم ويثبتها في موازين حسناتهم يوم يلقونه جل في علاه، ورزقنا الله وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم، فوالله إننا في شوق إليه -في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة- اللهم آمين، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار أجمعين، اللهم آمين.

وصفته بالصعب، لأنه من الصعب جدًا أن يشرح المرء نفسه كما يقول دولوز. وهو فخ، لأنني في مقتبل العمر، فكيف يمكن للإنسان أن يعرّف ماهيّة نفسه وهو في طور البحث عنها؟ فمعرفة المرء لذاته، مرتبطة بمدى قدرته على السرد والتأويل كما يقول ريكور، فهذه الثنائية (السرد والتأويل) لا يتحصل عليها المرء إلا بالمعرفة والحكمة(١)، ولا تتحقق الثانية (التأويل/الحكمة)، إلا بنضج الأولى (السرد/المعرفة)، ولا تنضج الأولى إلا بعد عمر مديد -أطال الله أعمارنا وأعماركم بالحق وعلى الحق وفي الحق، ونحن في صحة وعافية-، فشرط العمر هنا؛ حتمي. وأنا من حدثاء الأسنان؛ نعم، لكنني -ولله الحمد-، لست من سفهاء الأحلام!

بعد هذه الجولة الفلسفية/اللغوية للهروب من سؤال الذات -وهذا أمر ممتع/ محزن في الحقيقة، حيث أصبحت اللغة/الفلسفة في عالمنا العربي، أدوات معرفية نوظفها في التورية عن الحقيقة، هروبًا؛ من وحش الحداثة وتشكيلها الرهيب. فبدلًا من أن تكون اللغة/الفلسفة أدوات للكشف والتحليل (كما هو معتاد ومعروف تاريخيًا)؛ أصبحت أدوات حجب وتخبيص!-.

فبعدًا عن الهرب، سأحاول الإجابة على سؤال الماهيّة؛ بجواب الهويّة، فهو مشتق منها ومرجعه إليها.

أما عن اسمي؛ فمعناه مرتبط بي ارتباطًا عضويًّا. فلا أظنه يجهل على القارئ الكريم أن مهندًا في اللغة؛ هو السيف الحاد القاطع المصنوع من حديد الهند -أجود أنواع الحديد وقت ذاك-، ودلالة ذلك في الشعر العربي، ما قاله عنترة بن شداد مرة: (فطعنته بالرمح ثم علوته=بمهندٍ صافي الحديد مخزمَ)!، وما قاله طرفة بن العبد: (وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً=على المرء من

وقع الحسام المهند). ومن مرادفات الاسم: حسام وفيصل وسيفٌ. ومن الظرافة هنا؛ أن الاسم الأنثوي المقابل له هو «هنّاد» -ويمكن إطلاقه على المذكر أيضًا-، ومعناه؛ المرأة التي تجذب معشوقها إليها، فإذا قيل أن فلانة هنّدت فلانًا عشقًا؛ يعني أنها قد ذهبت بعقله وجذبته إليها. والحق أن هذه الصفة متلازمة مع مدى أنوثة المرأة، فكلما علت أنوثتها؛ زادت غوايتها للرجل، وكلما قلت؛ امتنعت عنه وجهلته، وصولًا؛ إلى تمركزها حول ذاتها، وانتهاءً؛ بشذوذها عن فطرتها. فهذا هو مهند في ضوء اسمه المنعكس على ذاته وصفاته. أما عن هويتي؛ فأنا مسلم عربي مُطيري، فلكل إنسيّ هوية جذرية/فطرية، وأخرى مصطنعة/مكتسبة. فالأولى هي الأصل الذي يجب أن يرجع إليه الإنسان ويرتكز، وينطلق في عالم الشهود من جذوره الفطرية؛ تعبيرًا لذاته/لهويته، وجماعته/قبيلته، وأمته العضوية، قوميّة/عربية كانت أم أممية/إسلامية. ومن ثم بعد ذلك يمكنه أن يُثري ذاته/هويته بما يكتسبه من الثقافات واللغات والأفكار في العالم قاطبةً.

فطغيان المصطنع/المكتسب على الجذري/الفطري؛ يودي بالمرء إلى طور الاستلاب، وهذا ما يجب محاربته، بل ومنعه. ومن هنا تأتي أهمية هدم سرديات العولمة الطاغية علينا في جميع تشكيلاتها المهيمنة، ابتداءً من مخيالنا المحتل منها وانتهاءً من تجلياتها المادية على أرض الواقع. كان يمكنني الاكتفاء بلفظ «مسلم» فقط، تعبيرًا عن ديانتي ورؤيتي الكونية في الحياة وتصوري للإله أو للعالم الأخروي. وهذا أمر طوباوي/غير واقعي إلا إذا كنت أعيش في فترة الخلافة الراشدة (وبالأخص؛ في فترة أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب رضوان الله عليهما، لأن الخلاف دب بعدهما)، فيجب عليّ الآن بعد الخلاف والاقتتال الذي دار بين صحابة رسول الله -صل الله عليه وسلم- أن أقدم جوابًا آخر غير لفظ (مسلم)، فسأقول؛ أنا مسلم سني. وكنت سأكتفي حينها بهذا التعريف الثنائي؛ لولا نشأة المذاهب الفقهية الأربعة في صدر الإسلام التي تحتم علينا الانتماء إلى واحدة منها -خاصة إذا كنت طالبًا للعلم-، فسأقول؛ أنا مسلم سني حنبلي. وكنت سأكتفي بهذا التعريف الثلاثي؛ لولا دخول الفلسفة الإغريقية على معتقدنا التوحيدي، فسأقول؛ أنا مسلم سني حنبلي الفقه تيمي المعتقد.

وتمنيت والله أن أكتفي بهذا التعريف الرباعي لما أنتمي إليه من ديانة، إلا أن الفصل القسري الشنيع الذي حصل بين أهل الشريعة وأهل الحقيقة؛ حال بيني وبين الكفاية، فأصبح هناك من يهتم بالأثر الظاهري في الإسلام على وجودنا الطبيعي/المادي، وآخرون يهتمون أكثر بالأثر الباطني/التزكوي للإسلام في ذواتهم. فمع تأخر الزمان واندثار عُرى الإسلام عروة عروة؛ حصل هذا الفصل الغريب بينهما، ثم زادت حدته وتطرفه وحماه المشيخانية؛ في فترة الحداثة وما بعدها التي نعيشها ومع حركات الإحياء الطهورية/المؤسلمة، وخصوصًا في حالة ما بعد الاستعمار/الاستدمار. فسأقول؛ أنا مسلم سني، حنبلي الفقه، تيمي المعتقد، وأنتمي إلى تصوف أهل الأثر (المندثر للأسف) الذي أحياه وجدده وقعّد له ومنهجه؛ إمامنا ومولانا ابن القيم -عليه رحمات

الله تترى-، ولا أخُفي حبي لتصوف مولانا الجيلاني -أنار الله قبره- وحجة الإسلام إمامنا الغزالي -رضي الله عنه-. وأما عربيتي؛ فمتعلقة باللغة التي أتحدث بها، واللسان الذي أنطق به، والأرض التي ولدت فيها وأتحرك في شعابها. ولا ريب أن قوميتي تنصهر في ديني ومنطقه الأممي. لذلك كانت ثنائية الأممية والقومية -والامتحان الذي يدور بينهما عند ثلة من الإسلاميين المحدثين- من الجدل المذموم والسفسطة البيزنطية، لأن دعوى الفصل بينهما حداثيّة بامتياز (أي أنها مرتبطة بحالة ما بعد الاستعمار/الاستدمار التي نعيشها وبسرطان العولمة الممنهجة التي خلّفت لنا أفكار العِرق الآري وغيرها)، بل الأصل أنهما توأمان لا ينفصلان -كما تريد الحداثة-، ويعمل عند تعارضهما على ما هو أولى وأنفع. وعلينا أن نتذكر أنه ليس في العربية إلا الإسلام، ولا أريد الخوض في هذا الجدل -على ما فيه من أهمية لبيان وترسيخ البديهي- حتى لا يتسع المقال، وبحول الله سأفرده في مؤلف خاص أعمل عليه منذ فترة حول سؤال القومية والأممية. ختامًا؛ أول طريق للانعتاق والانبعاث، التحرر من أسئلة الغالب، وضغط أفكاره على مخيلتنا التي احتلها، وطرح الأسئلة التي تخص ذات الجماعة المسلمة. فمن دون هذا النظر المستقل؛ سنبرح مكاننا كما كنا وسنكون، وإليه المصير. أما عن قبيلتي، فلا شك أن المكون القبلي لهو عامل أساسي في تشكيل هوية الذات العربية الصلبة، كي تتفاعل مع العام؛ وفق منطقها/تقاليدها الخاصة، التي تتميز بين قبيلة/عائلة وأخرى. لذلك كانت القبيلة هي الوحدة العضوية الاجتماعية في الجزيرة العربية التي انصهر فيها الإسلام وسايرها ونمذجها؛ حتى بُعثت للعالمين. ثم جاءت الحداثة وتشكيلاتها في فترة ما بعد الاستعمار؛ وفككت القبيلة بصورة هيكلية، ابتداءً من توطينها (عبر نقلها من البادية -الموطن التي تستمد منه قوتها وتماسكها- إلى المدينة الحضريّة) ثم نقلها الوظيفي لأفرادها شرقًا وغربًا/شمالًا وجنوبًا، وانتهاءً بتمدد سرطان التحديث إلى قُراها ومحافظاتها في البراري والأطراف والشعاب، حتى تُستحكم القبضة البيروقراطية؛ بصورة بنيوية.

أول طريق للانعتاق والانبعاث، التحرر

من أسئلة الغالب، وضغط أفكاره على

مخيلتنا التي احتلها، وطرح الأسئلة

التي تخص ذات الجماعة المسلمة

حدثونا عن رحلتكم المعرفية، قصة مهند مع الكتاب والعلم، والمجالات التي يهتم بها، وهل لكم محطات أثرت فيكم إيجابًا سلبًا؟

أولًا: أود أن أشكر من وضع هذه الأسئلة الذكية، فقد صاغها على نمط الأسئلة المفتوحة لا المغلقة، فهو يريد أن يسمع مني؛ لا أن أُسمعه ما يريد!، كثيرًا ما سُئلت هذا السؤال، ودائمًا أتحاشاه وأتهرب منه على قدر استطاعتي، والسبب أنني لا أملك إجابة مقنعة عليه! فكيف بمن كان يستهزئ بالقراء ويمزق الكتب نكايةً بأصحابها، ويسخر من أهل الثقافة والمعرفة؛ أن يُبتلى بها في يوم وليلة؟ أستطيع تفسير ما حصل لي؛ أنه محض إلهام رباني، وإدراك لضرورة القراءة والمعرفة في لحظتنا المحتلة، فقط، أما حبي للقراءة؛ فلا، وأتوجس ممن يقول أنه يحبها وهو في طور الشباب، فالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث؛ أحب إليّ من القراءة وأخواتها، فالحمد لله رب العالمين. أما عن رحلتي في العلم؛ فلا أملك أيضًا جوابًا عليها لأنني في بداية الطبخ والنفخ، ولن أنقطع عنها -بمشيئة الله- إلا عندما يُقضى أمري في هذه الدنيا. اهتماماتي متنوعة ومتشعبة، وهذا الذي أرقني وأجهدني، وأمنيتي في هذه الحياة؛ أن أتفرغ للعلم -وليس ذلك على الله بعزيز-، لكن؛ يمكن حصر اهتماماتي في كل ما يهم المسلم المعاصر اليوم، سواءً في معرفة نظرية، أو خبرة عملية.

بخصوص سؤالكم الأخير؛ كنت دائمًا ما أحوّل السلب إلى إيجاب، وأصبح بعد ذلك ينقلب معي مباشرة. بل إنني في بعض الأحيان؛ أتوجس من الإيجابي في حياتي وأحاول الابتعاد عنه، حتى لا تسوّل لي نفسي وأطبع معها وأستكن، بل يجب على المؤمن في هذه اللحظة التاريخية الصعبة؛ أن يشتد عوده ويخشوشن على قدر استطاعته، ويضع الدنيا في يده لا في قلبه؛ تمكينًا للوحي من نفسه وأهله ومعرفته، وتمركزًا حول جنباته، وملاذًا إليه -تبارك وتعالى- في المنشط قبل المكره. فلا سبيل في الدنيا إلا به، ولا مخرج منها إلا إليه -سبحانه-. وحتى يتضح المعنى، سأضرب مثالًا غريبًا على هذا الفعل -تحويل السلب إلى حافز/إيجاب-؛ ولم أتجرأ على قوله والتصريح به إلا بعد أن استشرت أقرب الناس إلى معرفتي/روحي، فقالوا لي: «بل قله، هذا فعل حسن ولا ضير فيه». وهو أنني إذا أردت تحفيز نفسي ورفع الكسل والدلع عنها؛ تابعت عذابات أهل الإسلام المستمرة في العالم قاطبة، مرئيًا ومسموعًا ومقروءًا، فإنها تعمل في نفسي ما لا يعمله غيره من المنشطات والمحفزات، حتى أكاد أجن وقتها من شدة سطوتها/سكرتها عليّ! وبعدها يأتي الدعاء للتثبيت ثم أعود حينها إلى العمل. «فكثرة المساس عندي تثير الإحساس» كما يقول صاحبي، وهي لا تشبه الإدمان السلوكي -رغم إدماني عليها-، لأنها تهز جذوري الهوويّة -لا ملذاتي الحسية-، وتضرب في رجولتي وفطرتي -لا في هواي ورغبتي-، وتستسخف قدرتي وفاعليتي -لا تضخم ذاتي ونفسي-، فلا أعلم ألمًا أشد من العجز حين القدرة! فالخطب جلل والتفريط خيانة، ولا عذر!

يا «أوج»، إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني. يا «أوج»، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي قد وجهت إلى قلبي أنا أولًا. لقد سحقتني آلام أمتي البئيسة. قد أحرق العدو كل حقولها، وإنما أنا الآن أحرث وأزرع من جديد، ذلك هو واجب الوقت يا «أوج»، فتعلمي! وتذكري، أن الحقول التي لا تُروى بالدموع لا تثمر سنابلها أبدًا! (٢).

لماذا ارتبط اسم مهند الهويدي بالدكتور عبد الوهاب المسيري تحديدًا؟

كنت في الساحة الافتراضية قبل ٢٠١٨ خاملًا وبعيدًا عن النشاط المعرفي فيها، ثم بدأت أنشط فيها لهدف إظهار المسيري ومشروعه مُجددًا في الساحة، لأنني لاحظت عدم الاهتمام البالغ بقامة مثله يملك مشروعًا معرفيًا متكاملًا فيه بذور الانبعاث؛ ولم يحجب أو يصادر أو يحيد كغيره من المجتهدين، فقررت إعادة مركزته مجددًا، وأظنني نجحت في هذا الأمر، وقد كان المسيري -عليه رحمة الله- استثناءً(٣) عن غيره من اليسار الإسلامي المنتمي إليه (الذي عاد إلى جذوره وأمته بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وقد كانت عودته في الغالب؛ عاطفية تارة، وبراغماتية تارة أخرى، ولم يكن أساسها إيماني ولا عقلاني إلا بعد ولوجهم في الإسلام -غفر الله لهم ورحمهم-) لأنه كان يحمل في صدره القلق المعرفي لأزمته الوجودية منذ فترة طويلة، حتى وصل إلى مرفأ الإسلام والإيمان قبل غالب اليسار، لأن إشكاليته وجودية/سماوية -كما ذكرنا- وليست سياسية أو دنيوية. وهذا سبب مركزي في علو كعب المسيري عن غالب أصدقائه من اليسار الإسلامي. وكما أن ارتباطه بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، أثرٌ إيجابيٌ في معرفته الإسلامية؛ كان هناك أيضًا أثرًا شديد السلبية على منهجه -بسبب ارتباط المعهد بالاستقطاب السياسي في تسعينيات القرن الماضي وفكرة «الأسلمة» الخديجة- فمنها؛ بدأ لغوه المعرفي -رغم رفضه البنيوي للأسلمة- يتبدى لنا في حديثه عن العلمانية الجزئية، وفي تبنيه «للإسلام المدني الديمقراطي»، الذي بشّرت به أميركة، حتى وصل به الأمر أن ينظر لطاغوت الديمقراطية ويؤسس حزبًا يتبنى هذه الأفكار التوافقية الخنيثة، متأثرًا بنموذج «الإسلاموية التركية/الباكستانية/الماليزية» -غفر الله له-،

وأظنه بسبب ضغط الواقع الرهيب عليه وقت ذاك، وتمركز فواعل الحركة الاجتماعية المصرية عليه حينها، ونضج فكرة الأنا/الذات القومية في الحالة المصرية، فالرجل أنهى مشروعه النظري وقدمه للأمة، وأراد بعدها أن يؤثر بفكره على الواقع المصري الاجتماعي/السياسي -مثل أي مجدد جهبذ يحمل هم أمته-، فلم يجد مهربًا؛ إلا أن يسير في ركب وفلك الأنساق الحركية المتكلسة. رغم أنه من أوائل -إن لم يكن الأول- من نقدوا الدولة الحداثية وأيديولوجيتها، ولحقته بعد ذلك؛ تلميذته أ.د. هبة رؤوف عزت وأنضجت هذه الفكرة وبينت مصادمتها لمنطق الحكم في الإسلام، بورقة معرفية جادة تم ضمها ومشاركتها في موسوعة «إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد» -التي حررها المسيري- بعنوان: «الأسرة والدولة: الماضي الغربي أم المستقبل الإسلامي»، عام ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م!! وقد تم استلالها ونشرها في إدراك(٤). الطريف هنا؛ أن بيان تعارض دولة الحداثة مع منطق الحكم في الإسلام؛ لم يبتدءه حلّاق البتة، بل كما ترون، إلا أن نص حلّاق مكثف وأكثر تفسيرية من غيره، واستخدم أدوات ما بعدية في نقده، وهذا ما يميزه، بالإضافة إلى إعادته لفكرة التعارض مجددًا إلى الساحة الفكرية بعد اختفائها منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي بسبب حالة ما بعد الاستعمار وضغطها، وأفكار الأسلمة التلبيسية!

منذ فترة أعمل على ورقة معرفية نقدية أسميتها: «نقد العقل الحركي/الاجتماعي عند المسيري»، يسر الله صدورها قريبًا. إشكاليتي الآن في تعاطي الإسلاميين مع مشروع المسيري بصيغة براغماتية وظيفية، وأدلجته دون الاستفادة من منهجه في التحليل والنقد والتفكيك. فتجد أكثرهم اطلع على كتاباته التي سكّها بعد الموسوعة، لكنهم لم يطلعوا على الموسوعة ولا على الموسوعة التي حررها بعنوان: «إشكالية التحيز»، ولا اطلعوا على كتاباته النظرية في الحلولية ووحدة الوجود -والتي تعتبر من روافد فكره مع مفهوم التحيز-ونادرًا ما تجدهم يتناولون كتاب «اللغة والمجاز» أو «في الأدب والفكر»، أو حتى «دراسات معرفية في الحداثة الغربية»، وعلى النقيض؛ يتعاطون وبكثافة مع كتبه التطبيقية ونتائجه النهائية ونقده للحضارة الغربية المادية؛ دون فحص أو نظر مستقل. لذلك لم يتجاوزوه إلى حد هذه اللحظة في ظني، ولن يتجاوزوه هو وغيره من أهل الفكر والنظر؛ إذا لم يغيروا من منهجية تعاطيهم مع النصوص النقدية وأدواتها.

وأضرب هنا مثالًا لمثل هذا التعاطي المختزل، أستاذنا العَلَم عبدالله الهدلق، الأديب والمفكر المبرز(٥) في كتابه: «ميراث الصمت والملكوت»، قال عن المسيري: «ماذا حين يُنعت بالمفكر الإسلامي؛ ثم أجده قد تجاهل النص الشرعي فاستبعده تمامًا من نتاجه المعرفي كله؟»، ثم يكمل نقده ويقول: «أين الآيات وأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة فيما كتبه عن اليهود؟». أولًا؛ أتفق مع الأستاذ أن لفظ «مفكر إسلامي»، فيه نظر ولست مع نعت المسيري به ولا مع غيره من المفكرين المعاصرين، فكلمة «إسلامي» أساسًا مشكلة. وأظن الأستاذ عبد الرحمن أبو ذكري قد أحسن معالجة هذا اللغط وحاول تحريره في مقالة مميزة بعنوان: «إسلاميون أم مسلمون؟» وعليه؛ فإن المسيري مفكر مسلم لا إسلامي. ثانيًا: لم يتجاهل المسيري النص الإسلامي (قرآنًا وسنة)، بل كان منطلقاً منه بصورة غير مرئية، كمنهجية في الحوار والجدل مع الآخر (المسلم وغير المسلم، لأن الجميع في شكهم يعمهون بعد احتلال ديار الإسلام واغتصابها)، فهو ينطلق من الأرضية المشتركة التي يقف عليها المخالف (الأرضية الإنسانية/الفطرية/العقلية)، ثم بعد ذلك؛ يثبت من خلالها الإسلام وينطلق في حينها إلى السماء. وهذه الفكرة استفادها المسيري واستقاها من علي عزت بيجوفيتش في كتابه الشهير «الإسلام بين الشرق والغرب»، وقد رد المسيري على هذه الدعوى غير مرة، بل وكل مرة في كتاباته وحواراته ومرئياته. وهذه المنهجية ليست بجديدة، بل قام بها ابن تيمية -رضي الله عنه- في حواره مع المناطقة في كتابه المبرز «الرد على المنطقيين». وليس من وظيفة المسيري بعد نقضه لفكرة الآخر أن يأخذ بيديه للإسلام ويدخله فيه، بل هذه وظيفة الداعية المسلم. ثالثًا: درس المسيري «اليهود واليهودية والصهيونية» دراسة إنسانية، وقال:

«هي نموذج تفسيري جديد». واعتمد في نقضه لادعاءات الصهيونية على العامل التاريخي لليهود (مقارنة نقدية)، والتطور الدلالي في مفهوم الديانة اليهودية (الحلول ووحدة الوجود)، والفكرة الكامنة خلف الصهيونية ودولتها (العلمانية والإمبريالية)، فكيف نحمل مشروعه الواضح والصريح ما لا يحتمل؟ وهل يجب عليه في دراسته ذكر «آيات وأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة» حتى يرضي أستاذنا الهدلق؟

قد زخرت المكتبة العربية بمثل هذا «الطرح الشرعي» حد الثمالة -والذي أدى بهم للخروج من التاريخ، والاعتماد على تدهوره، فحتى لو أثبتنا في فلسفة التاريخ عند أهل الإسلام أنها تدهورية؛ فهذا لا يعني التوقف عن الاجتهاد/الجهاد والإبداع والعمل، وما حديث «الفسيلة» عنا ببعيد!- وقد سد المسيري ثغرًا كبيرًا غائرًا في صدر معرفتنا الإسلامية المقارنة في مجابهة العدو. فرحمة الله عليه وغفر لأستاذنا الهدلق. أيضًا؛ ذكر مولانا الهدلق في معرض نقده للمسيري: «ماذا حين لا يوجد له -وهو الأكاديمي البارز- في كتاب ضخم من كتبه كالعلمانية؛ هامش واحد لموارده الفكرية، ولا ثبت بالمصادر والمراجع؟»، أقول: هذه منهجية تراثية/إسلامية يتبعها المسيري في كتاباته بعد خروجه من أسر الأكاديميا الغربية/الكافرة، الذي لم يخرج من سجنها أكثر الإسلاميين المحدثين، وقد ذكر المسيري في الجزء الأخير من موسوعته؛ منهجيته حول فكرة المراجع والمصادر، وفرّق بين المراجع والمرجعية، ثم بيّن؛ كيف هيمنة النماذج التراكمية والمادية على منطق تعاملنا مع الكتب التي استفدنا منها. وبعدها؛ بدأ في ذكر مرجعيته الفكرية ثم ختم حديثه وقال: «وغني عن القول أن المرجعية النهائية لهذه الموسوعة (وللمشرف عليها) هو ما أسميه (المرجعية المتجاوزة)، والإيمان بوحدانية الله وثنائية الوجود الإنساني، كما بيّناه في المجلد الأول (الإطار النظري)». ثم بدأ بسرد مثالًا على مراجعه حتى يطمئن أهل التشغيب المأسورون. وأزيد؛ هذه منهجية متبعة في كل كتاباته (حتى الموسوعة) كما ذكرنا آنفًا، وليس فقط كتابه العلمانية. ولم يبدع المسيري ولن يبدع غيره؛ إلا بعد خروجهم من أسر المنهاج المعرفي الغربي/الكافر، لكن أنى لهم أن يخرجوا وهم الذين هدموا بيوتهم المعرفية وتقاليدها بأيديهم وأيدي المؤمنين، وانتظموا في المدرسة النظامية، حتى وصلوا للجامعة الحديثة، أو ما يسمى بالتعليم العالي، وكلها منتوجات غربية تمت عولمتها واحتكار المعرفة الإنسانية بمناهجها ونظمها، ثم اصطناعها في أرض الإسلام/الإنسان؛ عنوة وقهرًا في حالة ما بعد استعمارية بائسة، فكيف تريد لفكر إسلامي حر أن يخرج منها؛ بعد تملك سرطان الحداثة من ناصيتها؟ وبحول الله، سننشر في إدراك ورقة معرفية عظيمة في نقد الأكاديميا سكّها المسيري عندما كتب مقدمة كتاب «اليهود أنثروبولوجيًا» للعَلَم -المغدور به- جمال حمدان -رحمة الله عليه-. والله أعلم.

٤. حدثنا عن مبادرة إدراك؛ فكرتها، هدفها، وما الرسالة التي تودون نشرها من خلال هذه المبادرة؟

أما عن فكرتها؛ فهي محاولة جادة لنشر المعرفة المقارنة، لبيان تلبيس المعاصرة/العولمة على أصالتنا، واستلاب الحداثة لرشدنا وإبداعنا، وهذا الأمر لا يتأتى إلا بإدراك واسع -كلي وجزئي، فردي واجتماعي- لواقعنا المركب. أي؛ بإدراك الواقع الموضوعي كما هو عليه لا كما تراه أعيننا المتحيزة بعدسة مؤدلجة، أو تصورات قبلية تُنزل على الواقع والمعرفة الآنية. وهذا رهان صعب، نحاول على قدر استطاعتنا؛ الالتزام به -والله من وراء القصد، وهو يهدي إلى سواء السبيل-. أما عن هدفها؛ فلا يمكننا إدراك الواقع الموضوعي المعاش، إلا بتفكيك وتجريد البنى الاجتماعية المصطنعة التي نعيش فيها: (المسجد/المدرسة/الجامعة/البيت/العمران/المدينة/التدين/الوظيفة/إلخ الحداثي) ثم إعادة تركيب قواعدنا الاجتماعية بعد عودتنا لذاكرة ما قبل الاستعمار التي مُحيت من مخيلتنا، وهنا؛ تُكَوَّنُ المعرفةُ المقارنة. لذلك ستجدون «إدراك» تساهم في نشر المعرفة التفكيكية (وهذا خط ثُغره كبير نحاول سده على قدر استطاعتنا) والمعرفة التركيبية/المقارنة (وهذا خط بِكر وعِر غير مردوم، نحاول الإسهام فيه بأقلام عربية/إسلامية معاصرة تدرك الواقع الموضوعي، وراسخة في معرفة تراثنا/ميراثنا الإسلامي). وأما الرسالة؛ فالإدراك هو الذي يولّد الرشد والأصالة التي ستفرز لنا الإبداع والتجديد المنهجي في قواعدنا النظرية/التطبيقية حول معرفتنا الإسلامية/الإنسانية. فهذه هي رسالتنا التي نحاول أن ننتمي إليها ونعمل بها ونحافظ عليها لأجيالنا القادمة التي ستكمل مسيرة أمتنا نحو بعثها من جديد، بإذنه تعالى.

٥. برأيكم هل هناك عوائق وصعوبات تواجه الشباب أصحاب المشاريع والمبادرات، خصوصًا المعرفية منها؟ أم هي عوائق تم تضخيمها؟

لا ريب أن المشاريع الاستنهاضية بعد نكبة الأمة؛ جد شحيحة، وبالأخص؛ المعرفية منها، وبالتحديد؛ النهضية فيها. وسأركز في النقد هنا؛ على عامل/مأزق التمويل، وعامل/مأزق الرسالة. فالأول برهنه؛ يتجمد الثاني ويسهل توظيفه في الواقع بصورة مستقطبة، فمن أُسر بالمال أسرته الفكرة، وانعدم التجديد عنده والمراجعة في أنساقها، وهذا أمر متواتر لمن له أدنى اطلاع بالحركات الاجتماعية ما بعد الاستعمارية، وكل تكويناتها وتشكيلاتها الهرمية المنبثقة منها؛ صغيرة كانت أم كبيرة، خيرية كانت أم معرفية. فإذا انعدم التمويل الذاتي/المستقل؛ تكلست الرسالة، ثم تجبرت بعد أن نشفت؛ وأصبحت ضرارًا لا بد من هدمه والاستعانة بغيره، فإما أن نهدمه بأيدينا -وهذا أنفع لنا وأقوم لأفكارنا وتجاربنا- أو سيأتي العدو ويهدمه بنفسه، -وهذا أسوأ ما يمكن أن يحصل في التجارب النهضية-. لذلك كانت أزمة الفكر/الرسالة، مرتبطة بأزمتها التمويلية في المقام الأول. وهذه الحالة المركبة شديدة التعقيد؛ نتجت بعد انهيار نسيج المجتمع العربي والمسلم هيكليًا، واحتلال أرضه وموارده، ومن ثم عقله، وتغيير ديناميكية تفاعل المجتمع في نمط إنتاجهم الاقتصادي/المعرفي، والتحديث الشمولي دونما إبداع ذاتي يذكر، يحافظ فيه على التقاليد الاجتماعية التي يُعبر فيها المجتمع عن ذاته وكينونته، وأخيرًا؛ غزو مخياله وعالم أحلامه!. فحالة ما بعد

الاستعمار؛ استندت على ثالوث مدمر، وهو: التبديد، والعلمنة، والتحديث. فالأول؛ مرض قديم في تاريخنا؛ زاد توحشه بعد صنع الدولة الحديثة في أوروبة الأنجلوساكسونية، وتصدير نموذجها في الحكم والإدارة إلى مستعمراتها بعد خروجها منها. والثاني؛ عقيدة إلحادية ومبدأ تمييز اجتماعي وبرقرطة؛ على النمط الأمريكاني الجديد، واختزال للدين في جوانب طقوسية ورمزية، ثم إعادة تشكيله لاستئناف استخدامه في المشاريع القومية والدولية. والثالث؛ بنية تحتية وفوقية لا تنتمي لجذورنا الحضارية، وبناء عمراني مشوه، لا ينتمي إلى عمارتنا الإسلامية، وتخطيط مدني غربي، يُجهض فاعلية المسجد -مثلًا- ودوره المركزي والفعال في المجتمع الإسلامي، واتجاه نحو تحضير الريف، وانتهاءً؛ بإزالة الأرض الزراعية على حساب بناء العمارة الإسمنتية الكئيبة، وتشييد المولات الاستهلاكية الرأسمالية المليئة بالشركات العالمية العابرة للحدود والقارات.... إلخ!

أي أننا وصلنا مرحلة من الانحطاط والتأخر؛ لم يسبق أن وصلنا إليها في تاريخنا الإسلامي. هذه الوجبة الدسمة من اليأس والعدمية؛ مطلوبة، كما قال صديقي الحكيم: أن اليأس أول الأمل. لأن استيعاب حقيقة حالتك كما هي عليه في الواقع الموضوعي؛ هي المشعل الذي سيوقد تفكيرك الإبداعي حول الممكن في الحاضر، والحل في المستقبل البعيد، لا الوهم والزيف الذي يبيعه بعض الدعاة والمثقفين المحدثين ويعتاشون عليه، أو خيالات منظري التيارات!

لذلك؛ وبعد كل هذه المقدمة التأسيسية، هناك عوائق وصعوبات؟ نعم، لكن؛ تم تضخيم بعضها من بعضهم حتى يشرعنوا لأنفسهم القعود مع الخوالف إلى أن يأتيهم أمر الله وهم في أبراجهم/أصنامهم يدورون. أو شرذمة متحزبة؛ تحاول احتكار الفعل الاجتماعي، بدعوى تنقيح الساحة وتنظيفها، أو ضم بعضها على بعض؛ لجمع الجهود على تصور ورسالة واحدة، وهذا تفكير حالم يستبطن الخبث واحتكار الفاعلية كما ذكرت آنفًا. والمصيبة؛ أن ندرة العاملين في الواقع -معرفيًا واجتماعيًا- هي التي تعجّل في إنهاء فاعليتهم، ولو أن كل واحد نشط بما عنده من علم وعمل لمجتمعه؛ لكثرت الفواعل ولتعذر إجهاضها أو استنزاف مُقدراتها. والله أعلم.

٦. كيف تقيم الواقع الفكري والمعرفي الإسلامي عموماً، وعلاقة الشباب معه؟

أزعم أن واقعنا الفكري/الإسلامي يعمل منذ بداية القرن العشرين؛ وفق منهج ردة الفعل، لا الفعل الذاتي. وهذه طبيعة المجتمعات المستعمَرة، ولا يكون الانعتاق الحقيقي من الاستعمار وعقليته وسرديته ومخياله؛ إلا بتقنين الأول وتفعيل الثاني، وإلا؛ سنرزح ونردح تحت أقدام المستعمِر إلى أن نعي هذا الأمر جيدًا، ونعمل وفق منظوره. فعقلية «ردة الفعل»، مجهدة ومستنزفة للعقل البشري، ومقيدة له بصورة غير مرئية، لأن عينه على المعركة الآنية التي صنعها العدو في الساحة -بفعل العولمة الممنهجة وغيرها من أدواته المصطنعة في بيئتنا المحتلة-.

هذه العقلية المجهدة/الدفاعية؛ من الطبيعي جدًا وجودها في أي كيان إنساني يتم اغتصابه عن بكرة أبيه، وهي مناعة لا إرادية ومضادات حيوية في أي جماعة بشرية، ولا يمكننا نزعها من أجسادنا، بل المطلوب في اللحظة الراهنة؛ تقنينها والحد من سطوتها وهيمنتها على

عقلية المفكر المسلم، حتى يمكنه أن يستوعب المعارف الأصلية والنقدية دون تحيزات قبلية؛ تجهض الاستفادة من المعرفة الجادة التي يلتهمها دون استيعاب لها، وبالتالي؛ توظيفه السيء لنتائجها في معرض تفكيكه أو بنائه العلمي. أرى -ولله الأمر من قبل ومن بعد- أننا نرزح في هذه المنهجية (ردة الفعل) لتلقي المعرفة واكتسابها وتوظيفها؛ إلى هذه اللحظة، وقد زادت حماها منذ ١١ من سبتمبر، لكننا نلحظ أيضًا؛ تصاعد مذهل في منهجية الفعل الذاتي بعد عقد ونيف من أزمة سبتمبر، والسبب في ظني؛ أن حالة ما بعد الاستعمار وتشكيلاتها تم تعريتها بنجاح عندما كُشف عن نمطها الوظيفي وفاعليتها الخديجة، وبالتالي؛ انهارت معها جميع التصورات الأيديولوجية المرتبطة بها. الإشكالية الآن، أنه بعد أن جذّرت هذه الحالة؛ -خلال قرن كامل من نشأتها السفاحية-، الاحتكار والتبديد بمختلف طبقات المجتمع، بدأ الجيل المدجن المستتبع بالظهور، ومن ثم؛ استئنفت البنى الاجتماعية المقاوِمة وقتذاك؛ المقاولة الآن، عبر إنتاجها الذاتي للسرديات والرموز وجماعات التكنوقراط والمتخيل دولتيًا؛ تحتيًا، بسبب تكلس/ضعف قدرة حالة ما بعد الاستعمار في بداية قرنها الثاني، الإنتاج فوقيًا، فمثلًا؛ برزت القبيلة الجاهلية وازدهرت، وضمرت القبيلة المسلمة واندثرت بسبب تمدنها وتحديثها القسري.

لذلك؛ وبعد هذه المقدمة التأسيسية لسؤالكم المفتوح أقول؛ أن إحصائيات المكتبة العربية آخر عشرة أعوام إيجابية إلى حد ما في الأعمال المترجمة، ومفزعة في حجم الإنتاج العربي للمعرفة. هذا الفراغ والمفارقة الكبيرة بين «ازدهار» الترجمة -بالنسبة لشعوب تقبع تحت نير الاستعمار- وانعدام التأليف الجاد للمعرفة في حقل الفكر الإسلامي؛ يبين لكم الخلل الحقيقي الذي نعاني منه. وأسبابه كثيرة، لكنني سأقتصر على ذكر أمرين هامين: عدم تفريغ الباحثين في حقل الدراسات المعاصرة -وسببها الأزمة التمويلية التي ذكرناها في جوابنا على السؤال السابق-، والوقوع في أسر خطة العدو «ردة الفعل» التي ذكرناها آنفًا، والكتابة في الخطوط الدفاعية.

أختم، بهذه العبارة المنهجية التي نحتاج أن نضعها نصب أعيننا في لحظتنا الراهنة: (أي معرفة نظرية لا يكون لها فائدة عملية؛ يجب تجاوزها)!

٧. هناك أسئلة كثيرًا ما يرددها الشباب، وهي كيف نبدأ؟ وغياب القدوات، وكيف نغير ونؤثر؟ برأيكم هل لهذه الأسئلة إجابة؟

كما تعلمون أن سؤال «كيف نبدأ؟»، عمومي جدًا وفضفاض. والجواب على من يسأل من الشباب بمثل هذه الأسئلة هو؛ جوابه عن سؤال الذات والغاية، من أنا؟ وما هي غايتي؟ وبعدها ننتقل لسؤال القدرة والإمكان، قدرة المرء من مهارات مكتسبة وصفات مجبولة في روعه، وإمكانه في واقعه الموضوعي الذي يعيش فيه. وبعدها؛ أظنه سيجاوب على سؤال البدء بيسر وسهولة مع الاستعانة الثانوية بتوجيهات من أهل الخبرة الحياتية والثراء المعرفي، وسيتحول السؤال حينها من: كيف نبدأ؟ إلى: ما الهدف الذي أبدأ به؟ ويصبح بعد ذلك؛ سؤال الكيفية «كيف نبدأ؟»؛ تحصيل حاصل وإجرائي جدًا بعد تحديد الهدف. وعلى كل حال؛ سؤال الكيفية في العلم والعمل، ينبغي أن يكون هامشيًا، وللأسف أن من يردده كثيرًا ويمركزه في حياته؛ يستبطن التشتت وعدم نضج جوابه على سؤال الذات والغاية. أو يكون نابعًا من كسل معرفي شديد، يذم صاحبه ويقرّع ويردع؛ لأن مغزى الكسل في حياتنا المعاصرة غالبًا ما يكون مرتبطًا بمدى دلع الإنسان وميوعته

ولزوجته؛ لا تشتته وعدم رغبته، وهذا ما جيناه من الحداثة؛ وحياتها المكتظة بالأشياء غير الضرورية ولا الحاجية. وبنمط الرفاهية القائم على الراحة والدعة؛ التي تطمس على الرجولة والحياء، -لا الترفيه المرتبط برياضة الجسم كما كان قديمًا-، وأيديولوجيا الغريزة المتمركزة في كل مكان في المدينة الحديثة. نحن نعيش في عالم غير متكافئ ولا عادل. وإدراك حجم التلبيس والتدليس والغبن الذي يعيشه المسلم؛ مؤلم ومؤسف، أختم؛ هل تعلم أن غالب الشباب العربي والمسلم، يصلون إلى ما فوق ٢٥ سنة، ولم يستطيعوا سد حاجتهم الغريزية؟ وفوق ذلك كله؛ يتعرضون لهذا الكم الهائل من الاستثارة الجنسية في كل مكان في المدينة، وبعد ذلك؛ تتعسر عليهم تكاليف الزواج «الشرعي»، لأنه في مجتمع حداثي/رأسمالي لا إسلامي، يعقّد الزواج في كل جزئية وتفصيلة، معارضًا النص النبوي الصريح في وجوب تيسير الزواج وتبسيطه. قلت مرة: عندما يكون بينك وبين الزواج؛ شروط وقيود ظاهرية/برانية كثيرة ومتعددة، وبين «خلافه» قيد باطني/جواني أوحد، فتيقن أنك في مجتمع لا يمت للإسلام بصلة! فكيف تريد للشاب المكلوم؛ أن يجاوب على سؤال الذات والغاية، وهو لم يسد حاجة أساسية؛ من حاجاته الفيسيولوجية؟ والله أعلم.

أما بخصوص القدوات؛ فليست غائبة، وكذبَ أو جهلَ من يقول بمثل هذا الهراء، بل هم في كل زمان ومكان، ومجاهيلهم؛ أكثر من مشاهيرهم، لكن؛ مشكلة الوصول إليهم، هي العائق والمأزق الأساسي الذي نعانيه حقيقةً، -بسبب الهوة الواسعة بين الأجيال في مستوى الوعي وأساليب التأثير وأنماط التواصل، خاصةً بعد الارتفاع الفائق في مستويات التحديث والأتمتة والبرقرطة، وانسياح الطبقة الاجتماعية في الشابكة الافتراضية، وترك أساساتهم الأرضية؛ في آخر عشر سنوات وإلى حد هذه اللحظة، والمسألة في تصاعد مستمر!- لكن، لاريب عندي أن المسؤولية تقع على عاتق الشاب أولًا قبل المربي. هذه النفسية من الشباب التي تطرح مثل هذا الوهم (غياب القدوة) وتلطم عليه ليل نهار؛ بأنها تريد «نجمًا» (بمعناه الحديث)، لا قدوة! متأثرةً في ذلك؛ بنمط الأفلام والمسلسلات -والإنميات- الحداثية التي تستبطن فكرة الحلول، والتي تجعل من البطل؛ هو المركز، وباقي الفواعل هوامش! هو يريد شيخًا أو عالِمًا؛ يحل الدين/الإله فيه -تعالى الله عن هذا القول علوًا كبيرا- ويبدأ في الدروشة على يديه!

ومن هذا الفعل الماسوشي الدنيء؛ برز لنا فئة تشبيحية تتمركز حول دعاة ومربين ومشائخ وعلماء؛ تم تصديرهم في مخيلة الطالب؛ على أنهم نجوم لا قدوات، بسبب تغلغل معنى الأول في خياله ومنطق تفكيره وتفاعله الإنساني، وغياب معنى الثاني تمامًا من إطاره وحيزه. فيبدأ التلبيس هنا عبر استعارة اسم الثاني(القدوة)، وإلصاقه على معنى الأول(نجم). ولا يعلم هذا الدرويش؛ أن الفرق بين الأول والثاني، هو الفرق بين الشرك والتوحيد. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فيجب على أهل العلم والتربية والدعوة -الذين هم في ثغر عظيم يُغبطون عليه- التركيز على تفكيك معنى القدوة في الإسلام، حتى تُستوعب المسألة بصورة تفصيلية ولا يُلبّس على الطلبة النجباء. والله أعلم.

٨. المسلم المعاصر في واقع متغير، وأحداث متسارعة، ومؤثرات مختلفة، ما الذي يحتاجه وما الذي ينقصه؟

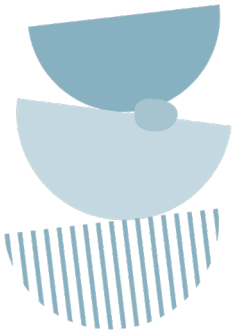

سؤال مفتوح جديد، وهذا النوع بالمناسبة؛ أكثر الأسئلة إنهاكًا للكاتب، لكنه -ولأول مرة- ينال على إعجابي واستحساني، فالحمد لله. أبدأ الجواب من الأخير وأقول: يحتاج إلى التجديد المنهجي -كما يقول الطيب بوعزة، وأنصح بمحاضرته هذه-، لأن أزمة الأمة الحالية، أساسها نظري/منهجي في المقام الأول، وبالتحديد؛ في عالم الأفكار لا عالم المادة، وبالتالي، نستطيع أن نقول وبكل ثقة؛ إن أي جهد نهضي في الواقع، يستدعي تغييره، محكوم عليه بالفشل المسبق وعدم تحقق أهدافه السامية وتطلعاته العالية، بسبب الأزمة النظرية التي تعاني منها معرفتنا الإسلامية. فلا تجريب إلا بتجريد مسبق. وحالتنا المأزومة، تستدعي أولوية التجريد على التجريب. يحتاج المسلم إلى إدراك التحولات الزمكانية التي تميز بها عصره المحدث، وأثرها المركزي في عملية التجديد/التجاوز للأنساق المعرفية/الحركية الجامدة؛ التي سقطت في فخ ميكانيزمات الواقع المفروض عليها، لجهلها المدقع به.

يحتاج المسلم إلى إعادة مركزية مفهوم الاجتهاد -على قدر استطاعته- كما كان مزدهرًا ومهيمنًا في عصر الصحابة -رضوان الله عليهم-، واندثر بعد تأسيس المذاهب الإسلامية، وحل محلها التقليد المذموم، على مستوى المنهج/النظرية. والساخر هنا؛ أن أكثر من يتشدقون بأهمية العودة إلى «فهم» و «طريقة» السلف؛ يتناسون عمدًا/جهلًا، مركزية الاجتهاد عند سلفنا الصالح. ولن يُشم الاجتهاد ولن يُجرب في عصرنا؛ دون استقلال مالي، وجهد عالي في طلب العلم، وتزكية للنفس فائقة. هذا الثالوث، هو شرط تحقق المجتهد/المفكر المسلم في عصرنا، ولم يؤت طلاب العلم المعاصرون؛ إلا بنقص أو خلل في هذا الثالوث. فبعضهم؛ يحقق الأول والثاني، ويفشل في الثالث، والبعض الآخر؛ يصيب الثاني والثالث، ويخيب في الأول؛ فيرهن علمه ولا يزكى. والعاجز المسوف؛ من جمع بين الأولى والثالثة، وفقد الثانية. وأختم هذه النقطة بمقولة خالدة للأفغاني، يقول فيها: «علّمتنا التجارب، ونطقت مواضي الحوادث، بأن المقلّدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها؛ يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الأعداء إليها، وتكون مداركهم؛ مهابط الوساوس ومخازن الدسائس»! انتهى.

ما هي طموحات أ. مهند الهويدي؟

أن يرزقني الله عمرًا عريضًا؛ أنفع به أمتي وأفيدها. وأسأله تعالى: أن يتوفني مسلمًا، ويلحقني بالصالحين. -إنه ولي ذلك والقادر عليه-.

تجارب أو نصائح أو رسائل تريد إيصالها لقراء مجلة أوج؟

«سأكون مضطرًا للاعتراف لكم، بأن لديَّ رعبًا من الكتابة يكاد يكون مَرَضيًّا، وأن كل كتابة علمية؛ تسبب لي عذابًا حقيقيًا»(٦)، وأنني متوقف عن الكتابة العلمية -ويا للأسف-، أكثر من سنتين. هذا غير همّ النهم المعرفي، وهمّ النشر في مبادرة إدراك، وكلها كفة، وهم متطلبات الحياة الدنيا غير المكتملة عندي؛ في كفة أخرى. هذه الأسباب المتراكمة عليّ؛ هي التي جعلتني أتأخر أكثر من ثلاثة أشهر في إنجاز هذا الحوار العصيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فكان يجب عليّ إعلان اعتذاري أمام قراء المجلة حتى أخفف من ذنب المماطلة والتأجيل وعدم الالتزام بالمواعيد، وخيانة العهد الذي بيني وبين المجلة. والله المستعان، وعليه التكلان.

أما الرسالة التي أريد إيصالها لقراء مجلة أوج، فستكون هي ذات الرسالة التي أرسلها د.المسيري لصديقه العزيز: عادل حسين، العقل المفكر والروح الملهمة -كما يصفه المسيري-(٧). يقول المسيري: «حينما كان في سجنه كتبت له رسالة، نشرتها صحيفة الشعب (١٧ يناير، ١٩٩٥م)، أحيي فيها مقدرته على المقاومة على جميع المستويات، إن إيمانه الذي لم يتزعزع بفعالية المُثل، التي تجعلنا نضع الأحزان في سياقها، فلا نغوص في الكتابة، فمثله الأعلى كان يحركنا كلنا؛ لأنه مثل أعلى، جذوره في الواقع، وفروعه في السماء. وحين دخل سجنه كتبت له هذه الكلمات: لا نكتب إليك في سجنك لنؤيدك ونتضامن معك ونشد من أزرك، كما هو الحال في مثل هذه الأحوال، فنحن نعرفك بكل ما فيك من حيوية وإشراق وإيمان بالله وحب للحياة والإنسان، ومقدرتك على الجهاد والاجتهاد، وبرغبتك المتّقدة أن تقيم العدل في الأرض. نحن -يا صديقي-، نكتب إليك كي نستمد منك شيئًا من الطاقة والإشراق والإصرار، فنتذكر النور والعدل حينما يزداد الظلم وتطبق الظلمة، ونحتفظ بحلم البراءة في زمن العمولات والخصخصة، والسوق الشرق أوسطية، والنظام العالمي الجديد، والتطبيع الذي يمحو الذاكرة والتاريخ. وفي وسط أرض التيه؛ من مقالات سخيفة، وإعلانات إباحية، وقبح متزايد، وحيتان تلتهم الأخضر واليابس، فلتصمد

يا عزيزي، بالله فلتصمد، حتى يمكننا أن نستمر في الحلم معك بواحة خضراء»!

وأما النصيحة، فأريد تذكيرهم بحديثٍ للنبي -صلوات ربي وسلامه عليه-، رواه عنه عبدالله بن عمر -رضي الله عنه-، أنه قال -عليه الصلاة والسلام-: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء! ولولا البهائم لم يُمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم». صدق رسولنا الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

هامش:

(١) {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} سورة البقرة، آية ٢٦٩.

(٢) من رواية «آخر الفرسان»، فريد الأنصاري.[بتصرف]

(٣) بالإضافة إلى المستشار طارق البشري -عليه رحمات الله تترى-

(٤) رابط المقالة:
https://www.edrakmu.com/post/family-and-state

(٥) يعلم الله، أنني لم أتجرأ على نقد هذه القامة الفكرية الكبيرة؛ إلا بسبب كثرة ما وصلني من أسئلة واستفسارات عما كتبه حول المسيري، ولاحظت أثر نقده على طلاب العلم، بسبب سطوة أستاذنا المعرفية، ومدى علو كعبه في الساحة. لذا؛ وجب التنبيه والنقد والتمحيص.

(٦) دي سوسير. منقول من: (مقدمة حافظ علوي للعدد الأول من مجلة «اللساني»).

(٧) يقول المسيري في تعريفه عن شخصية عادل حسين: «كانت تربطني علاقة شخصية قوية بعادل حسين وبأسرته، ولكن عادل حسين لم يكن صديقًا عزيزًا، وإنما كان رمزًا لجيل بأسره. وهو لم يفصل حياته الخاصة عن منظومته الفكرية، فنضاله لم يتبد في نشاطه الحزبي وحسب، وإنما في نمط حياته وسلوكه الشخصي. ثمة تقاطع وتفاعل بين ثنائية العام والخاص، والثمرة؛ هي فكر مقاوم للظلم، وحياة خاصة تأخذ شكلًا من أشكال المقاومة؛ ولذا كان عادل حسين ملهمًا لكل من حوله». انتهى.

سَرَنْدِبيّة
أمراء سرنديب الثّلاثة

حكايات عربيّة في مجموعة قصص قصيرة إيطاليّة من عصر النّهضة(١)/ رِنْزُو براجنْتِيني- جامعة أودِيني

@dialectiofsolitude

ترجمة: سعيد بن عبد العزيز الغامدي

تويتر: @siff_bs

البريد الإلكتروني: said2000181000000@gmail.com

سأبدأ بأن أتنصّل، إذ إنّي أنا الأستاذ في الأدب الإيطالي لا أعرف تراث السّرد العربي إلّا بواسطة، فلن آبه بموضوع عربي متّصل بالتّراث الإيطالي.

اهتمامي هو حادثة(٢) في بدء Peregrinaggio di tre giovani figliuoli del re di Serendippo (٣) {حِجّة الشّبّان الثّلاثة أبناء ملك سرنديب}*، وهي مجموعة قصص قصيرة نُشرت أوّلًا عام ١٥٥٧م في البندقيّة، ترجمها من الفارسيّة -كما تُبيّن صفحة عنوانها- مترجم كان يُدعى كرِسْتوفَر الأرمني.

ومن الغريب أنّ هذه المجموعة يكاد يجهلها حتّى أساتذة الأدب الإيطالي. لكن «الحِجّة»(٤) هي إحدى أشهر الكتب الإيطاليّة خارج إيطاليا. بل إنّ المرء يكاد يزعم أنّ تأثيرها على الأدب الغربي لا يعدله أيّ إبداع أدبي إيطالي من عصر النّهضة. حتّى بانْدِلّو Bandello -الذي عرف الفرنسيّون عمله Novelle (٥) {حكايات}، على قلّة، من تنقيح بوِسْتشو Boaistuau له في «المآسي التّاريخيّة Histoires Trgiques» (١٥٥٩م)، وعرفه الإنجليز من وِلْيَم بَيْنْتر William Painter في «قصر البهجة Palace of Pleasure» (١٥٦٦-١٥٦٧م)- لم يعرف مثل نجاح «الحِجّة».

وترجماتها وتنقيحاتها تتضمّن النّسخة الألمانيّة (١٥٨٣م)، والفرنسيّة (١٧١٩م)، ثم منها الإنجليزيّة (٦) (١٧٢٢م) والهولنديّة (١٧٦٦م). ومن ترجمة ألمانيّة متأخّرة (١٧٢٣م) أخذت الدّنمَركيّة (١٧٢٩م). ناهيك عن ذِكر ما قد تكون أهمّ تنقيحات «الحِجّة» وهي: Le voyage des princes fortunes»» {رحلة الأمراء المحظوظين} لِبِرْوالْد دو فِرْفِيل Béroalde de Verville . ولا شكّ أنّ «الحِجّة» تَدين بشهرتها للغرابة الجَلِيّة في عقدتها، ولا شكّ أنّ هذه الغرابة لم تكن لتنبثق في أيّ مدينة إيطاليّة غير البندقيّة؛ لموقعها الجغرافي السّياسي. لكن ثمّة سبب آخر لنجاح الكتاب.

بُنيت المجموعة على الفِطنَة البيّنة للأمراء الثّلاثة، وإذ جعلت الغرابة «الحِجَّة» شائعةً في فرنسا، فإنّ مزيج الغرابة والفِطنَة يَلَذّ لقومٍ كالإنيليز استمرؤوا رواية التّحرّي(٧).

نقرأ في المادّة «سَرَنْدِبيّة» في معجم أُكْسْفُرد أنّ هذه الكلمة "سكّها هوراس والْبُل Horace Walpole من عنوان الحكاية أمراء سرنديب الثّلاثة، التي كان أبطالها (دائمًا يكتشفون صُدفَةً أو بفِطنَة أشياءَ لم يسعوا إليها)". فتُعرّف بأنّها "مَلَكَة اكتشاف المُبهِجات المُفاجِآت صُدفة". وليس بعجيبٍ أنّ المعجم لا يذكر «الحِجَّة»، غير أنّ حكاية أمراء سرنديب الثّلاثة هي قَطعًا منها. والأشدّ عجبًا ما نقرؤه في Grande dizionario della lingua italiana (القاموس العظيم للّغة الإيطاليّة) تفسيرًا تأثيليًّا(٨) لكلمة Serendipità(٩): "من الكلمة الإنيليزيّة Serendipity (سَرَنْدِبيّة)، وهي كلمة أنشأها هوراس والْبُل Horace Walpole عام ١٧٥٤ م في روايته 'أمراء سرنديب الثّلاثة' (يحكي فيها قصّة ثلاثة شبّان موهوبين في اكتشاف النّادر دون أن يبحثوا عنه)". ولا حاجة بنا أن نقول أنّ والْبُل ما كتب قَطّ الأمراء الثّلاثة، وأنّها -على ذِكرها- ليست رواية.

والغريب أنّ القاموس الإيطالي لا يبدو أنّه يعي أنّ أصل الكلمة من الكتاب الإيطالي «الحِجَّة»، بل الأغرب من هذا الإهمال إذا علمنا أنّ «الحِجَّة» ضمن مصادر القاموس نفسه.

يوجد أحد أوّل أمثلة التّحرّي الفَطِن في الأدب الإبداعي الإيطالي في إحدى أوائل الحكايات من الـ«Novellino» {الألف حكاية}، وهي مجموعة قصص قصيرة وضعها في الرّبع الأخير من القرن الثّالث عشر الميلادي فلورنسيّ مجهول. في القصّة الرّابعة من هذه المجموعة يَحبس ملك اسمه فِلِب (ربّما فِلِب المقدوني والد الإسكندر الأكبر) حكيمًا يونانيًّا في سجنه.

حينما يُهدى الملك حصانًا يخبره اليونانيّ أنّ الحصان قد غُذي بلبن أتان، وحين يستبين فيما بعد صدق اليوناني يكافئه الملك بنصف رغيف كلّ يوم. ثم يسأل الملك اليونانيَّ رأيه في حَجَرٍ عزيزٍ عليه، فيجيبه اليونانيّ بأنّ داخله دودة، فيجد الملك أنّ الحكيم صادق فيكافئه برغيف. وبعد مدّة يشكّ الملك في والده، فيستحثّ الرّجل أن يصدقه عن مولده، فيخبره اليونانيّ أنّه ابن خبّاز. ثم بعد أن سأل أمّه يقرّ الملك بفطنة سجينه، غير أنّه سأله آخرًا كيف توصّل للحقيقة في كلّ حادثة، وهنا الأجوبة:

١- غُـذي الحصـان بلبـن الأتـان لأنّ أذنيـه -غيـرَ باقـي الخيـل- كانتـا مَحنيّتيـن.
٢- كان فـي الحَجَـر دودة لأنّـه كان دافئًـا إذ الأحجـار بـاردة، وهـذا لا يكـون إلّا إذا عـاش فيـه شـيء. ٣- لـو لـم يكـن الملـك ابـن خبّاز، فما كان ليكافئه بخبز، فإنّـه لـو كان ابـن ملـك لَكافـأه بإقطاعـه مدينـة. فأقـرّ الملـك الضّـالّ ببخلـه وأجـزل عليـه هدايـا ثمينـة.

وعلـى أنّهـا لا تُطابـق حكايـة الإطـار فـي «الحِجَّـة» فـإنّ فـي هـذه القصّـة عناصـر تقاربهـا. فيهـا مسألة الحيـوان الـذي غُـذي بلبـن آخـر، لكـنّ الأكثـر أهميّـة حقيقـة أنّ نتيجـة الفحـص الأخيـر تخـصّ الملـك عينـه (غيـر أنّـه فـي «الحِجَّـة» -علـى نقيـض «الألـف حكايـة»- لا يكـون شـكّ فـي والـد الإمبراطـور بَهْـرام). وأقـرب شـيء لاسـتهلال قصّـة «الحِجَّـة» هـي القصّـة الأولـى De Sapiensia (فـي الحكمـة) مـن الـ «Novelliere» {الحَـكّاء} لجيوفاني سِـرْكامْبي Giovanni Sercambi. كُتبـت «الحَـكّاء» بيـن نهايـة القـرن الرّابـع عشـر وبدايـة القـرن الخامـس عشـر الميلاديّيـن، ونسـتطيع يقينًـا نفـي علـم كرِسْـتُوفَر الأرمنـي بهـا، فمؤلّفهـا لـم يُعـرَف أنّـه أديـب إبداعـي حتّـى القـرن التّاسـع عشـر، بـل إنّـه لا توجـد إلّا مخطوطـة واحـدة ناقصـة مـن «الحَـكّاء»، فـلا بُـدّ أن نفتـرض أنّ سِـرْكامْبي وكاتـب «الحِجَّـة» يَمْتَحـان مـن نفـس المصـدر. وحسـبما أعـرف لـم يظهـر المصـدر الحقيقـي بعـد، حتّـى إن ظـنّ العديـد مـن الدّارسـين أنّـه قـد يوجـد فـي بعـض اقتباسـات الحكايـات العربيّـة، التـي تتـردّد فـي إسـبانيا القرون الوسـطى. قـد تكـون هـذه هـي البيّنـة. خاصّـةً La prima veste dei discorsi degli animali (الثّـوب الأوّل لخطـب الحيوانـات) الـذي كتبـه فرِنْـزولا أيْنولـو Firenzuola Agnolo عـام ١٥٤١م ونُشـرت عـام ١٥٤٨م. «الثّـوب الأوّل» هـو تنقيـح لإحـدى كتـب «بَنْچاتَنْتْـرا(١٠) Pañcatantra» الخمسـة، والتـي قـد اقتبسـها فـي القـرن الثّالـث عشـر الميلادي يوحنّا الكابونـي Giovanni da Capua فـي ترجمتـه اللّاتينيّـة المختصرة The Directorium Humanae Vitae (دليـل الحيـاة البشريّة) مـن ترجمـة يهوديّـة لكتـاب ابـن المقفّـع كليلـة ودمنـة(١١).

لـم يعتمـد فرِنْـزولا أيْنولـو علـى ترجمـة يوحنّـا الكابونـي اللّاتينيّـة، بـل تابَـع اقتباسًـا إسـبانيًّا مـن «بَنْچاتَنْتْـرا» نُشـر أوّلًا فـي سرقسـطة عـام ١٤٩٣م(١٢) هـو The Exemplario contra los Engaños y Peligros del Mundo(١٣) (دليـلٌ ضـدّ خـدع العالـم وشـروره). وقـد يكـون شـيءٌ مـن هـذا حـدث فـي حالـة «الحِجَّـة» رغـم أنّـه لا دليـل علـى هـذا إلـى الآن.

ففـي مطلـع «الحِجَّـة» يسـتبين المـرء أنّ مـادّة السّـرد آتيـةٌ مـن أسـطورة أبنـاء نـزار العربيـة، كمـا رواهـا المُفضّـل بـن سَـلَمَة والمسـعودي وابـن الجـوزي وآخـرون. غيـرَ أنّ عـدّة تغييـرات طـرأت عليهـا. إذ يدعـو جعفـر ملـك سـرنديب أبنـاءه الثّلاثـة (الذيـن يبقـون بغيـر اسـم فـي «الحِجَّـة») قائـلًا أنّـه يريـد تـرك العـرش، وحيـن لا يقبـل أحـدٌ منهـم أن يَخلُفَـه ينفـي جعفـر أبنـاءه الثّلاثة مـن مملكتـه وهـو يتصنّـع الغضـب منهـم لرفضهـم. ثـم يلتقـي الشبّان الثّلاثـة -وهـم يدخلـون بلـد الإمبراطـور بَهْـرام- راعـي إبـل أَضَـلّ بعيـرَه يسـألهم إن كانـوا رأوه، وهنـا تبـدأ أولـى الحـوادث(١٤) السَـرَنْدِيبيّة.

يسـأل الأمـراء الثّلاثـة الرّاعـي: ١- أليـس البعيـر أعـور؟ ٢- أليـس فيـه سـنّ مثلـوم؟

٣- أليس أعرج؟ وبعد أن يجيبهم عليها يشكرهم الرّاعي ويكمل بحثه. ثم يعود يتّهم الثّلاثة بتضليله، لأنّه لم يجد الدّابة. وفي الحادثة السَرَنْدِيبيّة الثّانية يدلّل الأمراء للرّاعي بعلامات جديدة أنّهم لم يضلّلوه قط كما قد يتبيّن، وهي: ١- يحمل البعير حِملًا مضاعفًا، زبدًا في جانب، وعسلًا في الآخر (أكبر الإخوة). ٢- يحمل البعير أيضًا امرأة (أوسطهم). ٣- والمرأة حامل (أصغرهم).

فيظنّ الرّاعي يقينًا أنّهم سرقوا بعيره، فيشكو سرقتهم إلى بَهْرام عازمًا أن ينصفه. فيحبس الإمبراطور الأمراء الثّلاثة، لكنّه يطلقهم بعد أن يجد الرّاعي دابّته، ويسألهم كيف تبيّنوا صفة البعير ودقيق حِمْلِه. وهنا أجوبة الحادثة السَرَنْدِيبيّة الأولى: البعير ١- أعور لأنّ العشب رُعي من ناحية، ولم يُمَسّ من الأخرى. ٢- وثُلم فيه سنٌّ لأنّ في طريقه قَضَمات من العشب كبيرة سقطت من سنّ مثلوم. ٣- وهو أعرج لأنّ المرء يرى من أثره أنّ إحدى أخفافه كان يُجَرّ على الرّمل. أمّا أجوبة الحادثة السَرَنْدِيبيّة الثّانية فهي: أنّ البعير ١- يحمل زبدًا على جانب، وعسلًا على الجانب الآخر، لأنّ المرء يرى أمّة من النّمل على جانب الطّريق، وأمّة من الذّباب على الجانب الآخر. ٢- وكان يحمل امرأة لأنّ أوسطهم رأى بولًا قرب بعض الآثار، ووضع يده فيه فاغْتَلَم. ٣- وكانت المرأة حاملًا لأنّها بعد قضاء حاجتها -كما يبصر المرء من الآثار على الرّمل- اعتمدت على يديها لتعاود الوقوف. فدعاهم بَهْرام -وقد أدهشته سَرَنْدِيبيّة الأمراء الثّلاثة- أن يبقوا عنده زمانًا.

وسمع بَهْرام في يومٍ -وهو ينصت إلى حديثهم سرًّا- ما قالوه عن خمرٍ وطعامٍ قدّمه لهم. وهنا تقع الحادثة السَرَنْدِيبيّة الثّالثة: ١- قال أكبرهم أنّه لا يشكّ أنّ الخمر من كَرْمَة زُرِعَت في مقبرة. ٢- وأقسم ثانيهم أنّ الجَذَع الذي يأكلونه أرضعته لبنها كلبة. ٣- وقال أصغرهم أنّه لاحظ أنّ مستشار بَهْرام يريد قتل الملك، الذي قتل ابن المستشار قبلها لجُرمٍ اقترفه. وبعد أن تحرّى فيما استنبطه ضيوفه علم بَهْرام صدقهم أيضًا (وهو حقًّا ليس بحاجة أن يتحرّى في الاستنباط الثّالث). ثم يسأل الشّبّان كيف اهتدوا إلى ما استنتجوه: ١- فكانت الخمر مزروعة في مقبرة لأنّها -والخمر تَسُرّ المرء عادة- جعلت أكبرهم وقتها حزينًا مكتئبًا. ٢- وكان الجَذَع قد أرضعته كلبة لأن ثانيهم ما إن أكل منه شعر أنّ فمه مالح مُزبِد. ٣- وتبيين المستشار قتل الإمبراطور لأنّ أصغرهم لاحظ في مجلس لبَهْرام مع حَشَمه أنّ أسارير المستشار اضطربت حين قال بَهْرام أنّ الخبيثين أهلٌ للعقوبة. ورآه الأمير أيضًا يطلب ماءً ليطفئ حرّ كبده، فظنّ أنّه لا يوجعه هذا الوجع غير قتل ولده. ثمّ نفى الإمبراطورُ المستشارَ من مملكته.

لا شكّ أنّ هذه الحكاية في «الحِجَّة» تمتح من أسطورة أبناء نزار. لكن هل تمتح منها مباشرة؟ لا أظنّ. وعدا أنّ الأسطورة العربيّة ليست فيها الحادثة السَرَنْدِيبيّة الثانية، فإنّ البَوْن الشّاسع هو أنّ الشّبّان فيها أربعة -بما أنّها قصّة نزار موحّد القبائل العربيّة الشّماليّة- وفي «الحِجَّة» (وعند سِرْكامْبي) هم ثلاثة. وفَرْق آخر مريب، هو أنّ بَهْرام ابنٌ شرعيّ(١٥) خلاف مُضيف أبناء نزار. لكنّ هذا الفرق لا بُدّ أن يكون مقصودًا لأمرين مترابطين: ١- في نهاية «الحِجَّة»

يتزوّج أصغر الأمراء بنت بَهْرام، وبعد وفاته يَخْلفه على عرشه. ولا يستقيم أن يبدو خليفةً لإمبراطورٍ كان ابن زنا.
٢- وخاصّة في جمهوريّة البندقيّة المشهورة بالمزج بين القيصريّة والبابويّة(١٦)، وهذه النّتيجة ستكون صادمة في أدبها الذي ينصر دائمًا قوًى سياسيّة.

على أنّه لا سِرْكامْبي ولا كرِسْتُوفَر يبدو أنّهما قد استقيا ما دوّناه من التّراث الشّفوي. ولو فعلا لَصَعُب عليهما أن يكونا بالغي الأمانة لكامل سير السّرد في كِلا السّرنديبيّات وتفسيرها. بل ثمّ نصّ فيه بعض الفروقات التي عند سِرْكامْبي وكرِسْتُوفَر. فكما أشار بعض الدّارسين فإنّ «الحِجَّة» شديدة القرب حقًّا من «هشت بهشت» (الجنان الثّمان) لأمير خسرو. فالخصائص التي توحّد هشت بهشت بـ «الحِجَّة» أربعٌ من ناحية، ومن النّاحية الأخرى تميّزها عن أسطورة أبناء نزار، وإنْ كانت الأسطورة يجب أن تُرى أنّها المصدر البعيد لكِلا العملين: ١- والد الأمراء هو ملك سرنديب. ٢- الأمراء ثلاثة. ٣- وحوادث السَرَنْدِيبيّة أيضًا ثلاثة، وتتوافق في إتقانٍ بعضَ الشيء مع تلك التي في «الحِجَّة» متتابعة. ٤- وأجوبة الأمراء للملك الذي يُضيفهم تكاد تتطابق أيضًا، إلّا أنّ الفرق الوحيد بين «هشت بهشت» و «الحِجَّة» أنّ الأخيرة -أمينةً للتّراث(١٧)- تجعل مُضيف الأمراء ابنًا لطبّاخ، غير أنّ هذا الفارق -كما رأينا- لا يهمّ.

فهل يمكننا أن نقول -مع هذه التّشابهات- أنّ «هشت بهشت» هي المصدر الحقيقي لـ «الحِجَّة»، عدا الحادثة التي تصدر عن أسطورة أبناء نزار؟ حقًّا لا، فليست «الحِجَّة» وحدها من تتضمّن قصصًا ما زال مصدرها مجهولًا، لكن بسبب حوادث أخرى في المجموعة أيضًا ليس فيها شيءٌ من «هشت بهشت». أحدها يبدو -لوهلة- أنّه يعود إلى المجموعة الهنديّة Kathasaritsagara كاتاسارِتْساگَرا(١٨). فعلينا أن نقرّر أنّ «الحِجَّة» مبنيّة على عدّة مصادر، وما زال الدليل التّاريخي لتعدّد المصادر حجّة في بعض القضايا. وكاتب «الحِجَّة» يبدو -لوهلة- مطّلعًا على قصيدة نظامي «هفت بيكار» (الصور السّبع). وهذا ليس بغريبٍ قطّ، إذ القصيدة هي المصدر الأساسي لـ«هشت بهشت». ما زالت توجد بعض المخطوطات التي تظهر فيها قصيدتان مقابلتان لبعضهما، وتاريخها يعود لما لا يتأخر عن الرّبع الأوّل من القرن الخامس عشر الميلادي. هذا الدّليل التّاريخي ما زال متاحًا لحكايات أخرى تحتويها «الحِجَّة»، ومع هذا فإنّه -كما رأينا- ليس يُرجّح أنّ هذا العمل مبنيّ على تراث شفوي. فلن تُقال الكلمة الفَصل في هذه المجموعة حتّى يُعثر على المصدر المكتوب.

وقد نغامر في قول شيءٍ واحد، وهو أنّ العديد من الدّارسين ظنّوا كرِسْتُوفَر الأرمني اسمًا وهميًّا، منهم ثيودور بِنْفي Theodor Benfey. وافترض ثيودور أيضًا أنّ الصّديق الذي أعان كرِسْتُوفَر هو جيوفاني فرانْشِسْكُو سترابارُولا Giovanni Francesco Straparola مؤلّف Le Piacevoli Notti (اللّيالي المَرِحَة)(١٩). وقد وجدتُ في سجلّات حكومة البندقيّة -وأنا أبحث عن دليلٍ في حقيقة كرِسْتُوفَر- أرمنيًّا يجيد عدّة لغات شرقيّة (العربيّة، الفارسيّة، إلخ.) وكان صديقًا قريبًا من جوزيبي ترامزينو Giuseppe Tramezzino الذي يتّفق أن يكون ابن أخي ميشيل ناشر «الحِجَّة»، فقد يكون الأرمنيّ متعدّد اللّغات وصديقه ترامزينو هما كاتبا/مترجما هذه المجموعة التي ما زالت متمنّعة، وأنا أظنّهما كذلك.

* نُشرت الورقة في مؤتمر:
(التّقليد السّردي العربي في العصور الوسطى؛ الانتقال والانفتاح).
ضمن وقائع ندوة دوليّة بجامعة ليدج البلجيكيّة عام ٢٠٠٥م. *

* الحواشي وما بين منفرجتين { } في النّص من إضافة المترجم، إلّا ما نُسب من الحواشي إلى المؤلّف.

١- "أشكر الأساتذة فِردْرِك بُودان Frédéric Baudin وأبو بكر الشّرايبي وأنتونِلّا فِرْسِتّي Antonella Ghersetti وأُلْرِتْش مارْزُولْف Ulrich Marzolph على اقتراحاتهم. كما أعبّر عن امتناني للأساتذة بيير ماسّيمو فورْني Pier Massimo Forni وفِكْتورْيا كِيرْكَم Victoria kirkham على مراجعتهم نصّي الإنجليزيّ". (المؤلّف).

٢- أو سمة.

٣- حجّ أو رحلة أو سفر ثلاثة شبّان أبناءٍ لملك سرنديب. وحجّ هنا لها ذات معنى pilgrimage في الإنجليزيّة، وتُستخدم للتعبير عن الرّحلة إلى مكان مقدّس أو مكان مجهول أو غريب للاستكشاف، وتحمل هذه الرحلة معنًى.

٤- أو القصّة، أو الرّحلة، أو المجموعة.

٥- ولو ترجمنا عنوانه هذا فقد تكون أقرب كلمة له هي «حكايات».

٦- هذا الحرف اسمه حرف الْمَيْف، وصوته كالجيم القاهريّة والكاف الفارسيّة، وقد وضعه مجمع مكّة الافتراضي، وهذا هو بيان اعتماده:
http://almajma3.blogspot.com/2014/05/blog-post_10.html?m=1

٧- أو رواية التّحقيق؛ Detective Novel.

٨- من علم التّأثيل (أو الإتيمولوجيا) الذي يدرس أصول الكلمات.

٩- سَرَنْدِبيّة بالإيطاليّة.

١٠- وهو اسم الأصل الهندي لكليلة ودمنة.

١١- "انتشرت البَنْچاتَنْتَرا في العالم الغربي -كما هو معروف- من كليلة ودمنة، فبالإضافة للنّسخة اليهوديّة التي ترجمها الحاخام يوئيل (في القرن العاشر الميلادي) تنحدر منها النّسخة اليونانيّة (بترجمة شمعون سِيث حوالي ١٠٨٠م)، والنّسخة الإسبانيّة (انظر الحاشية التّالية)". (المؤلّف).

١٢- ٨٩٨، بعد سقوط مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلاميّة في الأندلس بعام واحد.

١٣- "صدرت نسخة إسبانيّة سابقة لها استنادًا على كليلة ودمنة بطلبٍ من الملك ألفونسو العاشر الحكيم الذي كان صبيًّا وقتَها، وتعود إلى حوالي سنة ١٢٥١م، وإضافةً إلى التّرجمة الإسبانيّة يجب أن نذكر الاقتباس الألماني (Anton von Pforr, Buch der Beispiele der alten Weisen, ١٤٨٠ أنطون فون فورَرْ، كتاب أمثلة الحكماء القدماء، ١٤٨٠م)". (المؤلّف).

١٤- أو السّمات.

١٥- "وعلى نقيض الـ «Novellino»، فإنّا نجد بنوّة المُضيف الشّرعيّة أيضًا عند سِرْكامْبي". (المؤلّف).

١٦- أي: بين الدّين والدّنيا؛ وقد يكون اقتباسًا للمقولة المنسوبة للمسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما للخالق للخالق».

١٧- أو لأصلها.

١٨- أي: بحر القصص.

١٩- "ولكنّ بِنْفي لا يعطينا أيّ دليلٍ ينصر افتراضه". (المؤلّف).

المَعرفة الشّابة: هل يكتفي جيلٌ بلا أستاذ؟

أ. طارق العياضي الحربي
تويتر: @itariqii

من أوليات «آداب طلب العلم» في التراث الإسلامي الإلزام المتعارفُ عليه بأهمية تلقي المعرفة من عالم، ولعله لا ينازع أحد في أن هذا الأمر من التقاليد الراسخة البدهية التي تقلدتها مناهج التعلم عبر المذاهب في التاريخ الإسلامي.

في عمله المهم «نشأة الكُليات: معاهد العلم عند المسلمين وعند الغرب" قام جورج مقدسي بتحليل وتفسير مجموعة كبيرة من تلك التقاليد التاريخية ومنها ما نسميه تقليد «التلقي» حيث أن (مكانة المدرس في المجتمع [الإسلامي] كانت رفيعة المنزلة)(١) في مختلف الجوانب المؤثرة، فالعلم كان مؤثراً في الحكم والقضاء كما في الاجتماع والثقافة، بل إنه تشكّل ونُظّم في وقت مبكر من ظهور مدارس الحديث والفقه.

ونتيجة لعوامل اجتماعية تتصل بالسيادة والسُمعة ظهرت نماذج من الراغبين في الحصول على المكاسب العلمية، سواء كان بتوجه حقيقي للعلم أم دونه، واستثناءً لبعض أهل الأمصار النائية وأهل الأعذار فإن ما سُمي تاريخياً بـ»الصَّحفي» وهو الذي يعتمد في حصيلته العلمية على الصّحائف أي الكتب، كان هذا النموذج محل تحذير كبير من قِبَل العلماء،

وذلك لما يؤول إليه من أخطاء وبدع ومُحدثات، بل أقلها ما عبّر عنه المثلُ الدارج: "مَن كان شيخه كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه».
ولعل هذا المآل أي: «كثرةُ الأخطاء» لا يزال معياراً ناجعاً لتمييز أهلية المتعلم في الحديث أو الكتابة عن موضوع علمي ما، لكنه ليس الأخطر، بل إن عدم ضبط المتعلم مناهج التعلم وطرائق الفهم للمسائل بشتى صورها ومجالاتها أدى دوماً إلى ظهور آراء شاذة وعقائد منحرفة على قدر هائل من الغرابة.

ننقل ملاحظة الإمام الشاطبي حين يقول: (ولا يأتي زمانٌ إلا وغَريبةٌ من غَرائبِ الاستنباطِ تَحدُث) (٢)، ثم لا يلبث أن يُبين السبب، وهو الجهل بمناهج النظر الاجتهادي، فيُتم قوله بالقول: (وإذا كان كذلك، فيمكن أن يحدث بعد زماننا استدلالات أُخر لا عهد لنا بها فيما تقدّم، لا سيما عند كثرة الجهل وقلة العلم، وبُعد الناظرين فيه عن درجة الاجتهاد، فلا يمكن إذاً حصرها من هذا الوجه). (٣)

والحقيقة أن المجتهد ليس من حفظَ الأحكام في صدره فحسب، بل من عرف كيفية استنباطها أصلاً، ومن هنا من علماء أصول الفقه مَن قال: (أما علم المجتهد بأصول الفقه فلأنه يعرف به كيفية الاستنباط).(٤) وهذا هو مقصودنا من تلقي العلم من العلماء، أي معرفة المنهج الذي به يستمر الاجتهاد في النوازل كل عصر، وهو لا يتم دون تلقي العلم عن العلماء وذلك لما يلي:

أن طبيعة التعلم قائمة على التلقي والتقليد، بدءًا من تلقي الإنسان للغته الأم وعموم اللغات عبر نموذج المحاكاة Modeling، ثم بعد تلقي الأوليات والأساسات يصبح المتعلم قادراً على الإبداع.

يقول عالم النفس المعاصر ميهالي تشيكزينتميهالي صاحب نظرية التدفق Flow: (قدرة الأفراد على توليد الأفكار الجديدة تعتمد على الخبرة السابقة التي تشكل القاعدة بالنسبة لها).(٥)

أن عملية التلقي توضع من خلالها الأهداف والأطر العامة التي تحفظ نشاط المتعلم من الضياع دون غاية محددة. ولهذا فالاتجاهات التعليمية ترى المعلم مرشداً وموجهاً ومُنشطاً لدافعية التعلم.(٦)

وكما يؤكد المختصون في فلسفة التعليم: أن (التلمذة يجب أن تشمل مجموعة من علاقات المساعدة، تبدأ بمدة قصيرة، يتخللها تدريب شخص أقل خبرة، وصولاً إلى تدبير غير رسمي على مدى مدة معقولة لتوفير توجيه حكيم ومتأمل يوجه تقدم الفرد نحو تحديد هويته، ثم تحديد ذاته المستقلة).(٧)

إن التصور الإسلامي للمعرفة أنها عطاء إلهي، وأن الوحي له دور التسديد لمقاصد المتعلمين وغاياتهم، ولهذا فعلوم الوحيين لا تؤخذ دون علماء يسألون ويؤخذ عنهم.

ومن هنا نفهم قول الشافعي: (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام)(٨) وإفادة ابن جماعة من هذه المقولة فيقول: (وليجتهد على أن يكون الشيخ ممَّن له على العلوم الشرعية تمام اطلاع، وله مع مَن يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممَّن أخذ عن بطون الأوراق، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق)٩ ولهذا لقّب العلماءُ هؤلاء بـ(الصَّحفية: أي الذي تعلموا من الصحف).(١٠)

وقد يقال كالعادة: إن هذا الأمر معروف، ولا ينازع في أهميته أحد. ونقول: إن أشد الأمور وضوحًا طالما غابت في مستوى التطبيق والعمل، وكم تولدت من الإشكاليات الكبيرة ما كان يكفي في حلها مجرد الالتزام بذلك الأمر الواضح المتقرر في الأذهان.

وإنا نكتفي في هذا المقال بلفت عناية المهتمين إلى إرهاصات لنماذج من الشباب تدعى البطولة العلمية، وتحقيق ما لم يحققه أحد دون الاستفادة من أحد، بل محاولة اختراع كل شيء من الصفر مع تحقق الاستفادة قطعاً ولو أنكرت ظاهراً. وهذا يتطلب كتابات أخرى في مقاصد العلم في الإسلام بدل مقاصد العلم الحديثة من التنافس والشهرة والنجاح الدنيويّ والتربح المادي ونحو ذلك.

ولكي يكون كلامنا أكثر نفعاً، فإنا سنخصصه للتنبيه على دور «الأستاذِ» في دفع الاجتهاد الفكري من خلال ثلاثة أدوار فحسب.

الأثر المنهجي: لا نبالغ إن قلنا: أن أكثر الأخطاء الفكرية كانت نتيجة خلل منهجي في معالجة سؤال صحيح ومشروع، ومن الأمثلة على ذلك منهج تلقي المفاهيم.

يشير د.عبد الرحمن بدوي إلى أن كثيرًا (من الاختلافات بين المذاهب ترجع إلى اختلاف في فهم معاني الألفاظ، أو اختلافٍ في الدلالة التي يعطيها كل لفظٍ للذي يستخدمه، حتى اضطر البعض إلى القول بأن الاختلاف الموجود بين المذاهب الفلسفية المتضاربة إنما يرجع في نهاية الأمر إلى اختلافٍ حول الألفاظ).(١١) ولعل دور العالم هنا يتلخص في قدرته على تمييز الدلالات التي تضمرها المفاهيم واستيعاب سياقها الذي تشكلت فيه.

فمن أين يصدق شخص اعتاد القراءة في الكتب المشبعة بالكليشيهات أن مفهوم الحرية Freedom الذي هو من أركان الفلسفات الليبرالية مفهومٌ ديني مسيحي في أصله تمت استقطابه وعلمنته! كما تشير الفيلسوفة حنة أرندت(١٢) كاشفةً سيرورة علمنة المفاهيم الدينية في تاريخ الفلسفة الغربية.

التأصيل: حيث إن العلم لا ينال ما لم يتلقاه المتعلم وفق أصوله وقواعده، ومن تعمد إهمالها فإنه لا يمكن أن يعد عالمًا ولو جمع المعلومات.

ونشير إلى أزمة كبيرة في عصرنا حيث إن تطور التقنيات أفرز تضخماً هائلاً في المعلومات، لكنه في نفس الوقت أنتج ما سُمي بتخمة المعلومات أو الإغراق المعلوماتيّ Information Overload وحدوث مفارقة غريبة، حيث ينبه أحد المتخصصين إلى: (أن الازدياد والانتشار الهائل للمعلومات لم يؤد إلى غنى المعرفة كما هو متوقع، بل إلى فقر معرفي مترافق مع قلة الإلهام عند الإنسان).(١٣)

وتتضح دور العالم في قدرته على الانتخاب أو الانتجاب من كمّ المعلومات الفائض نحو معرفة ترتكزُ على:
البداية بالأصول الكلية.
التركيز على الأولويّ والمهم لكل مرحلة من العلم.
حيث يشير مقدسي إلى أن التصنيف الشهير لطلبة العلم في تقليد العلم الإسلامي تنظيمهم في ثلاث مراحل: مبتدؤون ومتوسطون ومنتهون(١٤)، ويبين أنه ليس مجرد أمر دارج على الألسنة، بل يتضمن آليةً للتأهيل العلمي تخصص لكل مرحلة أولويات لتأهيلها التأهيل اللازم لأدوارهم اللاحقة. فـ(لم يكن يشترط حد زمني معين لإعداد الفقيه المؤهل للفتوى، فنجد كتب الأصول تتحدث عن وجوب القيام بهذا الأمر، ولكنها تحذر أيضاً من التسرع في مزاولة الإفتاء)(١٥) و(كانت الإجازة في الفقه والإفتاء تُعطى بعد عقد امتحان).(١٦)

العمل: يتميز العالِم في التصور الإسلاميّ بأثره العملي والأخلاقي على تلميذه، حيث يمثل قدوة في العمل قبل مسالك النظر، ومن الطريف أن المتعلمَ أو طالب العلم سُمّيَ في التاريخ الإسلاميّ «المتأدب» تأكيدًا على الصلة بين العلم والأخلاق، وهو كذلك ليس كأي طالب علم، بل أُطلق على موسوعيّ الاطلاع بالتحديد، يقول ابن قتيبة: (من أراد أن يكون عالمًا فليطلب علمًا واحدًا، ومن أراد أن

يكون أديبًا فليتفنن في العلوم). ١٧ في المقابل تتجه النظرة المهيمنة وفق النموذج الغربي إلى انفصال العلم عن الأخلاق.
فكما يقول أحد فلاسفة التعلم Education (أن نظرة الوضعية للقيمة على أنها وسيلة تتسق مع مفهومها للمهني Professional، فالنشاط المهني بالنسبة للوضعية يكمن في حل ذرائعي أو وسيلي لمشكلة ما)(١٨) ولا يعنيها سوى أن يكون (هذا الحل يتسم بالدقة والصرامة)(١٩) ولو لم يكن ذا غايات أخلاقية أبعد.

وهذا لا يعني أن الاستفادة العلمية غير ممكنة إلا بالنظر إلى الحال العملية للعالم، لكنها الاستفادة رُتبٌ متعددة، منها ما هو نظري فقط، ومنها ما هو عملي فقط، ومنها ما يجمع بينهما فيتحقق فيه وصف شمول الاستفادة الذي راعته مقاصد العلم في الإسلام، وجعله العلماء يرتبط بالملازمة والمصاحبة وليس مجرد أخذ المعلومات.

ولهذا فإن أهل النظر الاجتهادي وهم يتلقون من مصادر متعددة مختلفة في سياقاتها وأصولها الفلسفية، يتعاطون معها تعاطياً نقدياً بالفحص والاستشكال عليها، ولا يأخذونها على عواهنها.
ومن ذلك كل ما يتصل بنظرية العلم في الإسلام، حيث إن تأثير الفردانية Individualism(٢٠) على مختلف أشكال العلاقة مع الآخر وتأثير مجموعة من الأفكار المؤثرة في الفكر الغربي الحديث كدور السلطة وحرية التجربة وتحييد الدين وغيرها تحتم اشتغالاً ضرورياً بالكتابة في نظرية العلم في الإسلام وأصولها الفلسفية ومقاصدها الأخلاقية.

(١) جورج مقدسي، نشأة الكليات، ص٢٥٢
(٢) الشاطبي، الاعتصام، (٢/ ١٢) ط التوحيد
(٣) المرجع السابق.
(٤) شرح المحلي على جمع الجوامع (٢-٤٠٠) نقلا عن: عبد الرؤوف أمين، الاجتهاد (رسالة علمية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٨٤
(٥) ميهالي تشيكزينتميهالي، حالة التدفق، مطبوعات وزارة الإعلام السعودية، ص ٩
(٦) انظر: باركر، مرجع سابق، ٥٧ وما بعدها
(٧) مجموعة مؤلفين، أفضل الممارسات في تربية الموهوبين (دليل علمي أكاديمي)، ترجمة د.محمود الوحيدي، ط العبيكان، ص٩٠
(٨) ابن جماعة، تذكرة السامع، تحقيق محمد العجمي، دار البشائر، بيروت، ص ٩٧
(٩) المرجع السابق.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٧٠ م ص ١٥٤.
(١٢) حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، ترجمة عبد الرحمن بشناق، دار جداول بيروت ٢٠١٤م، ص٢١٨-٢١٩.
(١٣) محمد فقيه، المعرفة وتضخم المعلومات، مركز الحضارة، بيروت ص٥٦
(١٤) مقدسي، مرجع سابق، ٢٧٨
(١٥) المرجع السابق، ص٢٤٤
(١٦) المرجع السابق، ص ٢٤٧
(١٧) العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: محمد سعيد، دار الفكر، ج١ ص ٢٨٩، وانظر: تجديد المنهج، طه عبد الرحمن، ص ٩٠-٩١، وأيضًا: إصلاح الحداثة، وائل حلاق، ص ١٠٤
(١٨) ستوارت باركر، التربية في عالم ما بعد الحداثة، الدار المصرية اللبنانية، ص٥٧
(١٩) المرجع السابق.
(٢٠) تشارلز تايلور، أخلاقيات الأصالة، ترجمة أحمد عويز، المركز الأكاديمي للأبحاث ص ٢٧-٥٣-٨٥

الخطاط : زكي بن علي الهاشمي

حاصل على الإجازة في فن الخط العربي

مستشار وخبير في الخط العربي

@zaki.alhashimi

بين حضارتين: عُصاب الجيل الذي ينتمي لهاري هالر

أ. زيدان الدين محمد
البريد الإلكتروني:
zidanedinV@gmail.com

الصرخة التي أطلقها فاوست:
"روحان، واحسرتاه، تسكُنان صدري!"
صرخةٌ مَثيلةُ الجهاد الذي يُكابده الإنسان الحديث في دُنيا اليوم، روح تقاليده وروح موبقات العصر الفاتنة. ويُعدّ هاري هالر بطل رواية "ذئب البراري" لهرمان هِسّه التجسيدُ الحي والدائب لصرخة فاوست؛ فهو حصيلةُ تراكب عصران وحضارتان ودينان، و"ينتمي إلى أولئك الذين حُشِروا بين عصرين، الموجودين خارج كل أمانٍ وبراءة. إنه ينتمي إلى أولئك الذين قُدّر لهم أن يعيشوا كامل لُغز القدر الإنساني الذي تصاعد حتى درجة العذاب الشخصي، الجحيم الشخصي"(١)

يمثّل هاري هالر وثيقة مَن أصَمَّتهُ الصيحةُ فلَم يُراعي النَّبأة، ومَن اغترّه الخضوع نفاسةً عليه بالمقاومة، فاستبدلَ بالمعنى عدماً، وبالأصالة تغرّباً، فباعَ يقينه بشكوكيته وعواطفه، وأحكام الخلق الإنساني بمخالب الذئب الكامن فيه. وطوال تتبُّعنا لسيرته نلتمسُ فيه سيرةً مِن المقاومة إلى حدّ التكيّف مع لوعة العصر، يتخلّلها الكثير من الدراسة للأزمة والتحلّل بفعل الظواهر. وهي دون ذلك وثيقة لأزمة العصر المريض بالحضارتين الذي يُستنطق في ضؤولة المعنى للإنسان المُعاصر، وهذا الأخير هو وجهُ الشُبهات الفوضوية، يصبغه التشويش، عاجزٌ عن بناءِ الحدود، وهو على حدّ تعبير سِيرافيم روز:

«إنه الإنسان الذي لا جذور له [...] المُفكّر الحُر والشكّاك، المُنغلق فيما يتعلّق بالحقيقة، المنفتح على

كل الأنماط الفكريةِ الجديدة، لأنه هو ذاته ليس لديه أساس فكري...»

في كتابهِ "ما وراء الخير والشر" نجدُ نيتشه قد شرّح نفسية "ذئب البراري" قبل إشهار الأخير خروجه علناً بكامل علّاته، بثمانين عاماً. فيصفه نيتشه بـ "المُهجّن الضعيف" دلالةً على فقدانه لأصالته باغترابهِ الحديث واختلاط أعراقه وأديانه، ويمثّل هذه العلّة بأنها "زينة النفس الحديثة" لإنسان "عصر الانحلال، عصر خلط الأعراق، الحاملُ لتركة أصل متعدد في جسده، ويعني هذا غرائز ومقاييس قيمة مُتضادة في الغالب، ينازع بعضها بعضاً ولا تهدأ إلا نادراً - إنسان كهذا، إنسان الحضارات المُكتهلة والأنوار المُنعكسة، إنسانٌ ضعيف هجين به حاجة إلى التاريخ كمخزنٍ يمدّه بالأزياء، وهو يلاحظ بالطبع أن ما مِن زِيّ يُلائم قامته حقاً. لذا يبدّل ويغيّر - ليتأمل المرء بالنظر إلى هذه النزوات والتبدلات السريعة في أساليب التنكّر، وكذلك بالنظر إلى لحظات اليأس من أنْ "لا شيء يَلْبق بنا". نحن أول عصر مثقف في ما يخص الأزياء، أعني الخلقيات والمعتقدات والأديان والأذواق الفنية، عصرٌ مُهيأ أكثر من أي زمن مضى لاحتفال تنكّري فخم الأسلوب، للضحك والهرج الكارنفالي، بل لِقمّة الحُمق الأعلى التجاوزية وللسخرية من العالم على مِنوال أرستوفان"(٢)

في زخم فوضى المفاهيم التي تسترعي عناية شبابنا في مواطنِ الثنائيات، التُّراث والحداثة، التَّحرُّر، التغيير والتجديد، الشرق والغرب، وغيرها من إشكاليات وأمارات العصر، يتفشّى مرض هاري هالدر بين بعض شبابنا ومُفكّرينا، هالدر الذي تشظّى بين أصالته وتجديده المُبتذل لمواقفهِ وشخصيته وتوقعاته وذائقته ومفاهيمه إلى أن وصلَ مدارج التدمير الذاتي والصرخة الفاوستية "آه، إنني أنظرُ إلى ما أشاء وأفكرُ في ما أريد، لا شيء يبهجني ولا شيء يغريني. لا شيء يفتنني أو يغويني. كل شيء ذاو، كئيب ومُستهلك، ويفوح بتنانة الابتذال والتفسّخ"(٣).

عينها الأزمة التي همَتْ علينا من شديد المأزق الذي اصطلينا فيه بفعل التناقض الذي خلقه التقاء أو تناكُح الحضارة الغربية والعربية إثر رواج الأولى في أوساطنا واستيرادنا لسُبلها وحتى علّاتها، حتى شطّ الحال ببعض المتعصبين بيننا للثقافة الغربية في أنهم اتّخذوها مقياساً لكل معان التجديد والتقدم والارتقاء، فشعشعت دعاويهم بيننا، فيرى البصير أنّا وقعنا في حالِ من يسعى لتربيع الدائرة.

من غموض الفِكرة، وحتى صرعة الذائقة الموسيقية، ذاعَ موقف التمسّك المُطلق بالجديد مهما كانت طبيعته. موقفٌ لا ينمُ أنه نابع من الفِعل نفسه، وإنما عن ردة فعل مثّلت احتجاجاً على الواقع العربي وناسلَت سلسلة من ردود الفعل المُتذمّرة. ومن حيث أنّ سؤال "كيف نتقدم؟" شغلَ أذهان الشباب، إلا أنه جرّهم لمزالق استهلاكِ الثقافة الغربية فَصاروا يَألَهُون إليها وَلُوه الحَمَام دون

البحث عن أُسسها وأصولها - فكُل ما هو مُتقدم لا يعدو أن يكون غربيًا، وكل ما هو غربي فهو بالضرورة يعني انفتاحًا وتطورًا وتقدّمًا- ومِن القيود الثقافية كان مقياسهم للالتحاق بالرَّكب الجديد وامتطاء التيّار الغربي وتقييد أنفسهم به هرباً من القيود السابقة، وما هذا إلا هربًا من التقليد لتقليدٍ آخر. فكانَ

الترويج للبديل الغربي وإسقاط الثقافة الغربية على ضوء واقعٍ عربي يختلفُ عن حدودها ويتباعد عن ثقافتها، أشبه بتشييد القارب في الماء، وما فتأ أن نَخلَ لنا ثقافة هجينة، وأزمة أُخرى تُرتَج فيها مفاهيمٍ مألوسة تَشي بأنّ عملية التغيير التي تحدث ليست ذاتية أو إنتاجية بتاتًا، وإنما استهلاكية وشكلية خُلعَ عنها الرأي الشريف والتفاعل الناضج مع الواقع ومُقتضياته ودراسة مُتطلّباته وأدواته.

هذا الاستيراد لثقافة حضارةٍ بعيدة عنّا من ثُم تبريرها في المُساجلات التنظيرية التي تُشاع في الأوساط العامة والثقافية، قد أعدمنا من أن ننتج حاضرنا الخاص بنا، وأخملنا من حاضرٍ لسنا فيه إلّا أتباعًا مُقلّدين.

اضربْ بطرفك حيث شِئتَ من الناس، فهل تبصر إلّا الكثير ممّن يكابدون هذا التهجين، ووقتٍ لا يزداد فيه الوضوح إلّا إدبارًا، ولا الإبهام إلّا إقبالاً. ونحن بين هذا وهذا نهيم في سريرة البلاء. وزدْ على ذلك، أنْ ترى مِن بيننا مَن حدّث أن ارجعوا لثقافتكم، حتى وجد القوم يرشقونه بالتخلّف، فكثير الشباب اليوم ينفرُ من أن يتحلى بعروبته وثقافته وتراثه نفورَ المِعزَى من وعوعةِ الأسد، وينظر لها بعين من ينظر للقرون البائدة ولا نصيب له منها إلّا ما شابه المتحفيات. وبعضهم يصل به الحال أن يتنكّر لكل ما أنبت أصله، فترى حاله بعين ما وصفه الجاحظ في كتابهِ الحيوان: « [...] فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبَّ من أبغض تلك الجزيرة» - وأهون الآثار ما تبصرها في تلوّي الألسنة بالعجمى وغريب المُفردات المحكية الهجينة.

ما نلاحظه اليوم من ثورات وفوراتِ شبابنا العربي حدّ وصول مطالبتهم بالحُريات المُطلقة وعدم احترامهم لأيٍّ من صنائع الأسلاف، هو بحد ذاته الموضة العقلية المضطربة لأيار ١٩٦٨، فلا عُرفٌ جليل يحتكمون إليه، ولا وقارٌ في استبصار حكمة التقاليد، وذلك أن استشرَتِ الأهواء، وعادَ لسان السفسطائي الأول يُستنطَق في أفعالهم بيننا "والفرد مقياس الحق لنفسه" وفي ذلك كثير من احتكامِ الفرد إلى نزعة الأهواء التي سوّدها عليه، إذ هؤلاء لم يدعوا مُحرّمًا إلّا استحلّوه، ولا عَقْدًا إلّا حلُّوه.

وإذا كنا نأنف تقليد الغرب فليس من ذلك أنّا نُبرر واقعنا العربي بجميع أخطاءه وحُطامه، ولكن لنُردّ المَعالِم من ثقافتنا ودِيننا، ونُظهر الإصلاح في أُمّتنا، ونسعى لنبذ ومُكافحة انحدار شبابنا بكل السُبل والمنهجيات المُتاحة اتقاءً قبل أن يعمل علينا سفهاؤنا ويقضي بيننا جهلاؤنا، فتُقام المُعطّلة من عزائمنا، ويُرتدّ عنّا كل ما ليس منّا، ونَرشُد قبل أنْ لا يبقى بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلّا وأسمَعَ الخلق: "روحان واحسرتاه تسكُنان صدري".

المراجع:

(١) تمهيد ذئب البراري، صـ ٣٤.

(٢) عُصارة شذراتٍ متفرّقة من ما وراء الخير والشر لـ نيتشه.

(٣) ذئب البراري، صـ ٩٤.

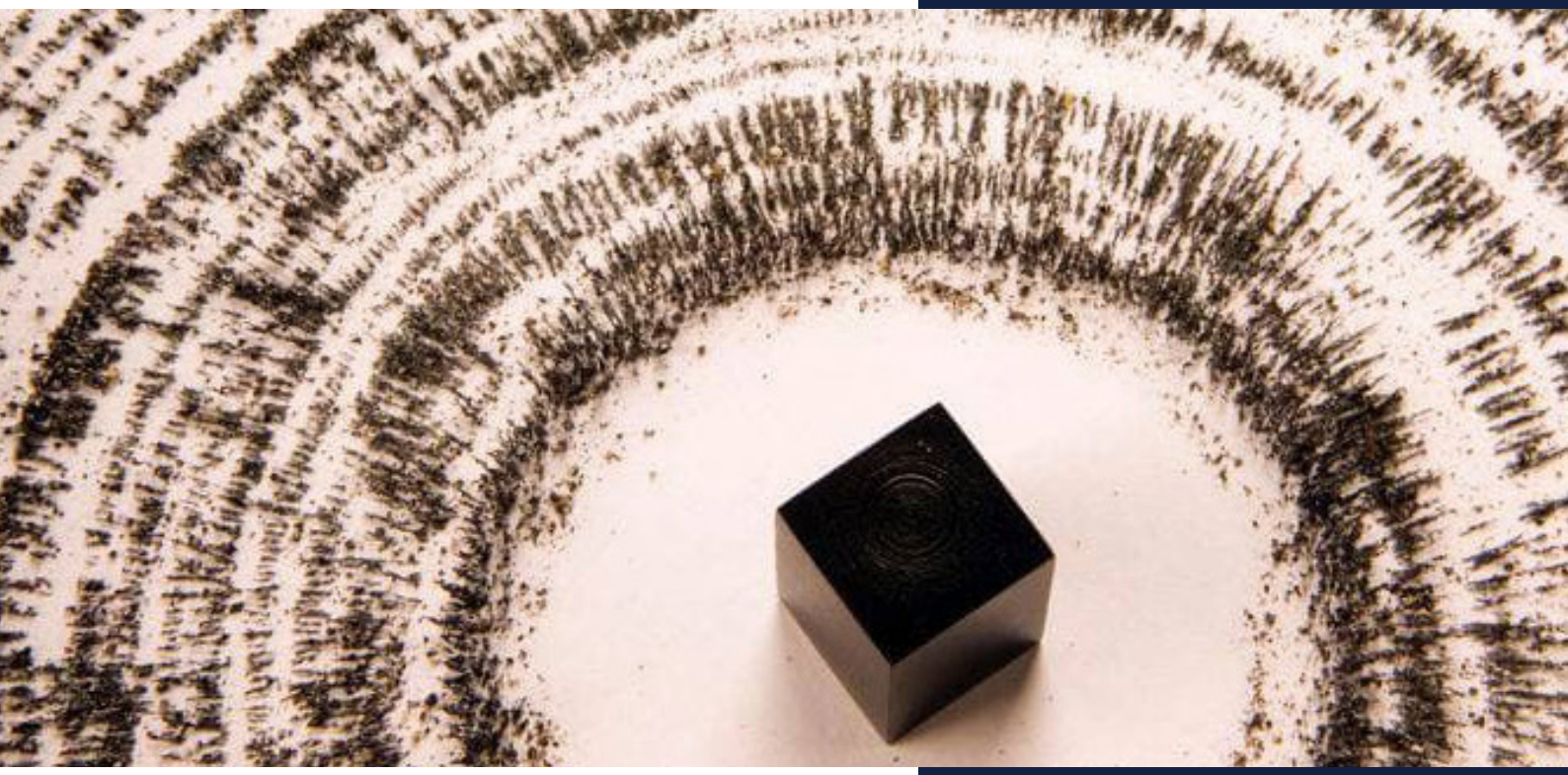

احتياج الدين

أ. بدر الشهري
باحث دكتوراه تربية

لقد باتت العصور الراهنة تتسم بأنها أزمنة أزمات ، رغم ما تحظى به من أشكال التقدم والرفاهة، ليست أزمات سياسية وعسكرية فقط، بل أهمها الأزمات الحضارية والفكرية والمعرفية والنفسية، سواءً في العالم الغربي أو في انعكاس تأثيراته على المستويات العربية والإسلامية، وبالطبع فإن مرحلة الشباب ستكون بلا شك أحد أهم الفئات التي ستعاني من تلك الأزمات، بوصفها الفئة التي غالباً ما تقع عليها نتائج الفعل الفكري، وتتضح فيها ملامح الرؤى السائدة، نعم هناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي وُجهت لهذه الفئة باعتبارها أثمن رأسمال بشري للمجتمعات وخاصة تلك الدراسات التي تتناول الحاجات البيولوجية الأساسية أو الحاجات النفسية كتحقيق الذات ونحوها من المعاني التي ضُخمت وفقاً لطغيان فكرة الفردانية الرأسمالية.

إلا أنه تم تهميش وإهمال أحد أهم الحاجات الضرورية للشاب ألا وهو حاجته للاعتقاد، الحاجة الروحية للدين، فالمراهق شغوف بالمطلق، مليء بالتساؤلات، ليس فقط على المستوى العقائدي، بل حتى على مستوى الأسئلة اليومية الحياتية فيما باتت تعرف بأسئلة المعنى.

فبعدما انشغل الباحثون والمهتمون بالبحث عن الأسباب التي تسوق الشباب ممن هم في كفاية معيشية

بل بعضهم يعيش رخاءً وترفاً للانخراط في مغامرات مهووسة، أو أنشطة أبعد من تلك الحاجات والحوافز الأولية، أو التعلق بالفنون والآداب والمعارف فتخطف بصره كل صورة وتتشكل شخصيته ظلاً لغيره، أصبح السؤال البارز اليوم عن مجريات الحياة اليومية أكثر من بروزها في مستوى الرؤى الكونية، ولم تعد مراعاة إشباع الحاجات مُشبعة لذلك النهم الذي يجتاح الأرواح، فالمدنية المفرطة في المجتمعات المُعلمنة تحجب هذه الحقيقة المشعَّة، فهذا العالم بكل مباهجه ومغرياته لا يُشبع النفس، ولا تكفي لذّاته لإطفاء التوق الباطن إلى ما هو سامٍ ومقدس (هذا الشوق الغريزي إلى الأزلي الأبدي، وهذا الطلب الحثيث للكلي اللانهائي له دلالتان عميقتان: إحداهما دلالته على مطلوبه كدلالة الأثر على صانعه، وثانيتهما دلالته على أن في الإنسان عنصراً نبيلاً سماوياً خُلق للبقاء والخلود، وإن تناساه الإنسان وتلهى عنه حيناً قانعاً بالدون)(١).

فمهما كانت معيشة المرء طيبة ومريحة فإنه ولابد سيعاني بسبب وضعه الإنساني، لأن النقائص تحيط بالبنية البشرية من كل جانب، فالأفعال اليومية تصبح مع مرور الوقت مملة، وهوايات الفرد المفضلة تتقادم، والملاذ المعتادة تبهت وتضجر، ويشعر المرء أحياناً برتابة علاقاته وصداقاته الشخصية، ومما عمق الإحساس بفقد المعنى طبيعة هذا العصر الحديث الذي ضعف فيه تأثير المجتمع مقارنة بالعصور السابقة، حيث كان الفرد يندمج في فضاء اجتماعي وثقافي يتلقى من خلاله المثل العليا بشكل بدهي ومسلم به (وكما أن للدين وظيفة نفسية فردية بوصفه الغذاء الوافي لقوى النفس المختلفة ومداد حيويتها، فإن له وظيفة اجتماعية تتمثل في قوة التدين في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، فليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة الدين أو تدانيها)(٢). يشير عالم الاجتماع دوركايم إلى أن (من مسببات التعاسة الجديدة تلك الرتابة التي تهيمن على طبيعة الحياة في المدنية الحديثة وروتينية المهن المُفضية إلى فقد المتعة الناجمة عن مفاجآت الحياة اليومية إضافة إلى تضخم وقع الآلام نفسها لزيادة حساسية الإنسان الحديث)(٣).

وبسبب رتابة الحياة وذبولها وتكرار كل شيء فيها وانطفاء المتعة التي تمنحها الملذات الحسية للبشر، فإنهم يصلون حداً يفتقد فيه كل شيء معناه في حياتهم.

إنك تجد الإنسان بشكل عام والشاب بشكل خاص يسعى لإشباع حاجاته، فإذا حصلها اعتادها، فإذا اعتادها ملّ منها وطلب غيرها، ربما لمجرد دفع الملل عما اعتادت عليه نفسه، وهكذا هي الرغبات تولد رغبات جديدة، فهو في أزمة عند عدم إشباع رغباته، وأمام أزمة في حال إشباعها، فهو بمثابة الظامئ الذي يحسب ماء البحر عذباً، لكنه كلما شرب منه ازداد عطشاً، أو كالعطشان الذي يحسب السراب ماء، فيظل ينهكه الجري وراء ذلك السراب الموهوم.

إنه الاحتياج للدين، ذلك الخواء الروحي الذي لا يُشبعه سوى الدين، حين تتخشب الأرواح وتجوع وتظمأ فلابد أن يحضر الدين، فالكائن البشري متعطش على الدوام إلى ما يرتوي به، فالبشر لا ينفكون عن نقص في كينونتهم، وهم حيث كانوا في هذه الأرض لم ولن يفارقهم هذا الظمأ.

(يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميلٍ يرفع رأس الإنسان، بل إن هذا الميل سيزداد.. ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علوّ مداركه ونمو معارفه)(٤).

كذلك فإن (ضعف الاعتقاد الإيماني واستبعاد الأسباب والمؤثرات الغيبية وتراخي الصلة بالله تسهل من تشوش المعنى في الفعل اليومي، وتستجد أن الإنسان في ظل حيرته وقلقه يختلق غاية يتعزّى ببلوغها عن كآبة هذا الطريق، فهو بحاجة إلى إعادة إعطاء معنى لحياته، إذ هو لا ينفك يلحظ بفطرته وحدسه الداخلي حاجته لما هو أبعد، لما هو أعمق، لما هو مقدس)(٥).

غير أن الدين بوسعه أن يحمي الإنسان من ذلك، حينما يكتشف المرء وظيفة الدين في إنتاج معنى لحياة الإنسان والإجابة عن التساؤلات وبناء التصورات وامتلاء الروح والتخلص من الهشاشة، وعبر الدين فقط يمكننا الثقة بأنه كلما طغى الشر فلن يهزم الخير، وكلما كثر القبح فلن يعدم الجمال، وكلما اشتد الظلام فسيعقبه النور، كل ما هو غير مفهوم يجعله الدين

مفهوماً، وما لا معنى له تجد له معنى في الدين، فمسار المعنى في حياة الإنسان لا يملأه إلا الديـن.

(الديـن ليس فكرة مجردة فقط أو مفهوماً بارداً أو صورةً جامدةً، إنه جذوة روحية متوثبة، وشعور حي يقظ، لا يجعله كذلك على الدوام إلا شعائر وأعمال، فهو بمثابة حديقة أزهار مالم نواظب على سقيها تذبل فتموت، مثلما لا يزهر الربيع بوردة واحدة ولا تتحقق الصلاة بسجدة واحدة أيضاً لا يبعث التدين حياتنا الروحية بصلاة واحدة، بل ينجز الدين وعوده حينما تصبح الحياة كلها متوجهة إلى بارئها) (٦)، فالرؤية الكاملة للعالم تحقق نظاماً متماسكاً للمعنى، ومن الخطأ أن يُفهم الدين أنه مجرد تجربة تضفي معنى على حياة الإنسان، بل باليقين أن معنى الحياة يتضمن اعتقاد المرء تجاه نفسه، وتجاه ربه، وتجاه العالم (الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية لها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد، إن خضوع المتدين لمعبوده وإن كان خضوعاً كلياً لقوة قاهرة كما يقولون، ليس هو ذلك الخضوع الذي يخلق اليأس، ويكبت النفس، ويُغِلُّ من الجهد، ويحدُّ مجال العمل، بل هو شعور يرقّه عن القلب بما يفتحه أمامه من آفاق الإمكان)(٧) ويضع عن النفس الأثقال، ويملأها ثقة باتصال الحياة الدنيا بالحياة الآخرة، وأن لذّات الأولى الناقصة مكتملة في الأخرى، وآلام الدنيا اللازمة منعدمة في جنة الخلد.

(١)الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان/محمد عبدالله دراز. ص١٠٤

(٢)المصدر السابق. ص٥٥

(٣)حياة تالفة، أزمة النفس الحديثة/تود سلون. ص٨٧

(٤)دائرة معارف القرن العشرين ٣٩/٤ محمد فريد وجدي. ص٤٥

(٥)معنى الحياة في العالم الحديث/ عبدالله الوهيبي. ص٣١

(٦)الدين والظمأ الانطولوجي/عبدالجبار الرفاعي. ص٢٢

(٧)الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان/محمد عبدالله دراز. ص٧٥

وعبر الديـن فقـط يمكننـا الثقـة بأنـه كلمـا طغـى الشـر فلـن يهـزم الخيـر، وكلمـا كثـر القبـح فلـن يعـدم الجمـال، وكلمـا اشـتد الظـلام فسـيعقبه النـور، كل مـا هـو غيـر مفهـوم يجعلـه الديـن مفهومـاً، ومـا لا معنـى لـه تجـد لـه معنـى فـي الديـن، فمسار المعنـى فـي حيـاة الإنسـان لا يمـلأه إلا الديـن.

الفطرة كمكنون يقينيّ

أ. سندس عمار
باحثة في كلية دار العلوم
Sondos1295@gmail.com

المقدمة
الحمد لله الذي نزل الكتاب هدىً وشفاءً لما في الصدور، وأودع فيه أصناف المعارف وأنواعِ العلوم وما تستقيم به الأمور، يسره للمتذكرين وكشفه للمتفكرين، وأصلح به أمر الدنيا والآخرة.
والصلاة والسلام على معلم الناس الخير والحق، رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه وسلم.

من المعلوم أنّ الإنسان يُولد لا يعلم أيّ شيء سوى إحساسه الغريزيّ الدائم باحتياجهِ لشيء لا يقدر عليهِ هو، لشَيء أكبر منه، وبإحساسهِ بالألم الذي لا ينفك عنه إلا إذا تفطن لوجوده في دنيا مليئة بالكَبَد، فهو هنا يسلّي نفسه بأنه مسافرٌ يحتاج لزاد يبلغ مراده، فيستعين على ذلك بما خلقه الله.
و هو في كل حالة ضعيف، وخلق اللّه فيه الإدراك، وجعل السمعَ والبصر والفؤادَ أثرًا لذلك الإدراك.

وهذا كله يلزمه نَفخَة روح، وهو فِطريّ ملازمٌ لكل بني آدم خلقهُ اللّه فينا، وجعلهُ علامة عليهِ لنبصر.

قال تعالى:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]

قيل: وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما رُكّز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتيها لما خلقت له، وما سُوِّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، وأنه إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤].(١) وعلق الإمام القرطبي بعد ذلك بلطيفة من اللطائف فقال: أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير.

والحال أنّ الإنسان كلّما أحسَ وقاس تِبعًا لما يرى أدرك المحسوساتِ والمعقولات، وهو كلما كَبُر وتعَقلَ اتسع فكره وتوسعت دائرة معرفته، فيعلم يقيناً وشعوراً ويتبصر كمال قدرة الله في خلقه، فيتدبر ويتفكر السبب في خلقته بالأصل، وتقديم النفس مقصود لأن تتغير وتتبدل، والنظر هنا أمر من الخالق، ودعوة للتفكر في آيات الله الكائنة في النفوس، كيف أنشئت خلقاً بعد خلق وطوراً بعد طور، فيولد من بطن أمه جنيناً ثم يُصبح صبياً، ثم يصير شاباً، ويمضي به العمر للكهولة، ثم يأخذه الموت. وما يصاحب ذلك من أحوال مختلفة في الظاهر والباطن مرتبطة بالإنسان، لا يقدر على ذلك سوى الخالق عز وجل.

والإنسان من أولِ لحظاتهِ في الحياةِ يستدل بالسببِ على المسبب، وبالأثر على المؤثر، فإذا سَمعَ صوت أمهِ أدركَ أن راحته قَادمة، وإذا جاعَ فرفعته لتُلقمه ثَديّها فهو يَسكُن لإدراكِ أنه في طريقهِ للشبع، وهو في أعوامه الأُوَل يرى أمه هيَ كل عالمه. فحولها يدورُ الكون كله.

وهكذا كلما كبر وتعقّل زادَ إحساسه أنّ هناك شيء أكبرُ منه يحتاجهُ في كل آن، بما أودعهُ اللّه في فطرته.

وبالعقل تُعرف حقائق الأمور، ويُفصل بين الحسنات والسيئات، وأنزل اللّه الأمانة وهي الإيمان الذي هو في أصل القلوب، وأودعَ فيه شيئًا تعي بهِ وتُفرق بين التماثل والاختلاف، والتقابل والتضادّ، وجعل فيهِ الآلات الحِسية اللازمة لذلك، وهذا هو الميزان الذي أُنزل مع الرسل المذكور في ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ «الحديد٢٥»

فالرسل أُرسلت بالمفصلات من البيان والدلائل، وأُنزل معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأعظم وأكمل وأشرف بينة وعلم تعرفه النفس هو علمها بربها خالقها ومالكها، وعبادته على الوجهِ الذي فرضه اللّه سبحانه وتعالى، وهذه العبادة مقرونة بالمحبة له والتذلل إليه سبحانه وتعالى.

وهناك عبارة عجيبة للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية يقول:

أن مبنى العقل على صحة الفطرة وسلامتها، ومبنى السمع على تصديق الأنبياء -صلوات الله عليهم.(٢)

فالإقرار بالله أمر فطري، وأمر إيماني،أما الفطري-وهو الاعتراف بوجود الصانع- فلا يحتاج لدليل، بل هو أرسخ المعارف، وأثبت العلوم، وأصل الأصول، وجماع أهل العلم متفقون على إثبات وجود الصانع.

ومعلوم بالفطرة التي فطر الله عليها عباده بصريح العقل أن الحادث لا يحدث بلا مُحدِثٍ أحدثه، وأن حدوث الحادث بلا مُحدِث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم. ولهذا لو جوّز مُجوِّزٌ أن يَحدث كتابة أو بناء أو غراس ونحو ذلك من غير مُحدِث لذلك، لكان عند العقلاء إما مجنوناً، وإما مُسفسطاً؛ كالمنكر للعلوم البديهية والمعارف الضرورية...(٣)

والإنسان إذا رجع إلى نفسه وأنعم النظر في تفتيشها وجد عندها اطمئناناً أن للعالم ربّاً ليس من جنس ما تراه وتشاهده، وقد يشتبه عليك هذا الأمر في نفسك، فتجده أولاً كالشيء الذي يتراءى من وراء حجاب، بينا تقول: قد أثبته في خَفيّ عنك. أو كصورة قد نسيتها، فأنت تحاول أن تذكرها، فإنك قبل أن تذكرها قد يعرض لك أن تحس كأنك قد ذكرتها ثم تغيب عنك، وهكذا في أشياء أخرى.(٤)

واطمئنان النفس وقرارها بوجود الربّ على ما كان ثابت، فتأكد أنّ هذا الذي في النَفس شيء قارّ ثابت لا يتزحزح ليس له يد فيه، وهذا قد يكون معنى الإشهاد الذي وردّ في الآية ألستُ بربِكم؟ قالوا بَلى.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف/١٧٢).

فأخرج الله صُلب آدم مثل ذريته الذَّرّ وأخذ عليهم الميثاق أنّه خالقهم وأنّهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا ذلك.

إنّ ميل الإنسان لوجود غائية ووظيفة لكل شيء في هذا الكون، مع ما فيه من انتظام منقطع النظير، يجعلنا ندرك أن كل هذه الظواهر مخلوقة قصدًا لشيء معين خُلق لأجله كل الكون، هذه الغاية مهما ابتعدنا عنها يُرجعنا الله إليها بطريقة ما، فالإنسان لا يتخلى أن يكون هناك شيء متسامي عليه ومتعالي عنه يعبده،

ولا يجد نفسه إلا بالنظر لها من خلال نظام معين، في كون متعالى عليه، فالناس في تطلع دائم لمعنى كليّ يتجاوزهم، ويمدهم بشيء قدسيٌّ يُمايز ما يجدونه من رتابة في حياتهم اليومية، وفي علاقات الإنسان بالآخرين، في شيء سامي مقدس يملأه بالدهشة والجمال والجلال كلما تأمله، فلا يملك التعبير عنه بمكنون لغته العادية، شيء يُشعره بوجوده فيتحدى كل شيء ليعبر عنه باللغة.

وهذه الغاية تختلف باختلاف إبصار الإنسان ورؤيته للعالم كله، وقد أخبرنا الله في كتابه الجليل أن الخلق أجمعين وُجدوا للعبادة، فالله عز وجل خلق الخلق جميعهم بإنسهم بجنهم بكل ما في السماوات السبعِ والأرضين.

وكان الإنسان بدون الوحي الإلهي مُنجدلٌ في طينته، ملتف ومطروح على وجه الأرض، صورة من طين لم تُنفخ فيه الروح بعد، ثم نفخ الروح فانتقل من عالم الغيب لعالم الشهادة.

وقد اختار القرآن الكريم أفضل وصف وأبهاه في وصفِ خلقة الإنسان فقال تعالى (سورة التين\آية٤) ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسنِ تقويم﴾.

والذي نأخذه من هذه الآية أنَّ الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكاً مستقيماً مما يتأذى من المحسوسات الصادقة، أي الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبْته التلقينات الضالة والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار، أو لو تسلطت عليه تسلطاً ما فاستطاع دفعها عنه بدلائل الحق والصواب، لجَرى في جميع شؤونه على الاستقامة، ولما صدرت منه إلا الأفعال الصالحة، ولكنه قد يتعثر في ذيول اغتراره، ويُرخي العنان لهواه وشهوته، فترمي به في الضلالات، أو يتغلب عليه دعاة الضلال بعامل

التخويف أو الإطماع، فيتابعهم طوعاً أو كرهاً، ثم لا يلبث أن يستحكم فيه ما تقلده فيعتاده وينسى الصواب والرشد. (٥)

هذه الكلمة المبهرة التي إذا قلناها نجد في أنفسنا حُسنًا بالغًا، وهذا الحُسن يشمل حُسن العقل والأدب، وحُسن العلم، والمعرفة، والبيان.

وقد قيل أن حُسن التقويم حُسن خفي في النفس، بما يجعله يُحب ويقبل كل شيء موافق لفِطرته التي فطره الله عليها، ولهذا كان الأصل في الناس الخير والعدالة والرشد وحُسن النية عند الفقهاء والمحدثين.

والحق قريب من النفس تحبه وتهابه وتجله، ومعلوم أن كل إيجاد لابد له من مُبدع، وكل تكوين لا بدّ له من مكون، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(الطور/آية٣٨).

وكان الصحابي الجليل جبير بن مطعم اذا سمعها يقول يكاد قلبي يتصدع، من هول هذا المعنى، فوسيلة القرآن في تبيين المعاني للنفس هي وسيلة قريبة من الفِطر، وأول شيء أُمرت به الرسل هي العبادة والإنابة والاستكانة لله رب العالمين ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل/ آية ٣٦)

فالله هو الإله الواحد المعبود بحق، ولا يستحق العبادة إلا هو، فكلٌ إليه خاضع يأتمر بأمره ويجلّ قدرته، ويأتي في المقدمة الإيمان بالله العظيم القادر القاهر.

ومما يبهرني في صفات الله العظيم القادر القاهر ويجعلني أقف صامتة من هول ما بي؛ هي قدرة الله على خلقهِ وقهره لهم، طالما أنت في ملكه -وحتى إذا لم تؤمن- فهو دائماً وأبداً القاهر فوقَ عباده وهو الحكيم الخبير.

فهو سبحانه حيّ عليم قدير حكيم خبير قاهر، فنشهد أن كل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه، فإنه باطل إلا وجهه الكريم، كما نشهد أنها كلها مفتقرة إليه في مبدئها، نشهد أنها مفتقرة إليه في منتهاها، وإلا كانت باطلة.

فهذه المعاني التي فيها تألّه الكائنات إياه، وتعلقها به، والمعاني الأُول التي فيها ربوبيته إياهم وخلقه لهم، توجب أن يُعلم أنه رب الناس ملك الناس، إله الناس، وأنه رب العالمين لا إله إلا هو، والكائنات ليس لها من نفسها شيء، بل هي عدم.(٦)

(١) مستفاد من تفسير القرطبي لسورة الذاريات الآية ٢١.
(٢) الرد على المنطقيين (ص/٣٢٣).
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٢٠٢).
(٤) يسر العقيدة الإسلامية للمعلمي (ص/٥٣).
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج٣١/ ص ٤٢١).
(٦) مجوع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (ج٢/٤٠٥).

الخطاط : زكي بن علي الهاشمي

حاصل على الإجازة في فن الخط العربي

مستشار وخبير في الخط العربي

@zaki.alhashimi

هل تحتاج المكانة إلى سعي فضلاً عن قلق؟

أ. مصعب القنيبط
تويتر: @Mosaab_Aboomir

عنوَن آلان دو بوتون كتابه الأشهر بـ (قلق السعي إلى المكانة)، مستعرضاً فيه الأسباب الداعية لتطلّب المرء للمكانة، والحلول التي بها يتصالح بها الإنسان مع تلك المكانة أياً كانت.

ولكن قبل البدء.. هل من الضرورة أن يكون للمكانة سعي من قِبَل الإنسان؟ يبدو أن ذلك ماضٍ في الطبيعة البشرية، حيث أن الإنسان بطبيعته يحب أن يلاحظه الناس (ولا شيء أشد عقاباً وشيطانيةً من أن ينطلق المرء ساعياً في المجتمع من دون أن يلاحظه أحد بالمرة) [وليام جيمس ١٨٩٠م] وهنا يتذكر الإنسان قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك؛ كيف كان من عقابهم ألا يكلمهم الناس ولا ينظرون لهم، حتى أن كعباً رضي الله عنه كان أشد الثلاثة، وكان يأتي المسجد ويسلم على من فيه بمن فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعلم هل رد - عليه الصلاة والسلام - السلام عليه أم لا، حتى أنه تسوّر بستاناً لابن عم له وسأله هل يشك في إيمانه أم لا؟.... إلى آخر القصة (صحيح البخاري).

الأطفال يولون الاهتمام البالغ والحفاوة اللازمة دون مقابل مادي صرف (الهوية هنا مفهومة في صورتها الأشد تجردًا أو عريًا) [آلان دو بوتون ٢٢].

مما يدفع نحو تطلب المكانة التطلع لما وصله أقراننا من نجاحات، الذين يشبهوننا ممّن نعتبر أنفسنا محظوظين حين نملك مثلما ملكوا أو أكثر قليلاً، ونصاب بالحسرة والحسد حين يتفوقون علينا ولو يسيراً بطبيعة الحال، لأنهم يشبهوننا في الظروف والحال العامة، بينما لا نأبه كثيراً بأصحاب الغنى الفاحش وما بيننا وبينهم من البون الشاسع (هناك أشخاصٌ غارقون في النعم

الباذخة، بحيث يخرجون من دائرة انشغالهم التام، في حين تتسبب مزايا متواضعة لآخرين بأن تجعلنا نحترق بنار عذاب لا تهدأ) [الان دو بوتون ٤٦].

مما يدفعنا أيضاً لابتغاء المكانة هو تساوي الفرص في العالم الحديث، وانعدام الطبقية كما في العصور السالفة (عندما تلغى كل الامتيازات الناجمة عن المولد والثروة، وعندما تكون كل مهنة متاحة أمام كل شخص: فإن أي رجل طموح قد يعتقد أنه من السهل أن ينطلق لمسيرة عظيمة، وأنه مدعو لشيء آخر غير المصير المشترك لعامة الناس) [آلان دو بوتون ٥٣].

هذه الطموحات خلقتها الحضارة الحديثة (بعنوان عريض: أطلِق العملاق الذي بداخلك)، والتاجر والمبدع والعالم ... إلخ من أنواع الشحن الداخلي لاستخراج قوى الإنسان وأحياناً تفتيتها، يُعبر عن ذلك عرّاب الثورة الفرنسية جان جاك روسو والتي رفعت شعارات المساواة في كتاب (خطاب في أصل عدم المساواة) عن أنه لكي تجعل إنساناً أكثر ثراءً: إما أن تعطيه المزيد من المال، أو تحدّ من رغباته، فالثروة نسبية مع الرغبة، سعت الحداثة الغربية في سبيل مضاعفة رؤوس الأموال وضمان استمرار العملية الرأسمالية في دوران مستمر وفعال إلى خلق غرائز ورغبات في الناس حتى تزيد من تطلعهم نحوها، مما يعني استمرار مضاعفة رأس المال.

حين صرخ كارل ماركس في وجه الرأسمالية أنها تدعي مساواة الفرص بين الناس بينما هي تعطي العاملين أجوراً زهيدة، وتعطي جملة الربح لأصحاب الأعمال ضماناً لمخاطرتهم وتأسيسهم العمل التجاري، صرخ ودعا بالمساواة الحقيقية في ظل تقسيم الثروة، لقد رأى الطبقات البرجوازية ما هي إلا تجسُّد أحدث لطبقة السادة التي جثمت على صدور الفقراء منذ بدء الزمان.

إن الاعتماد على نظام الكفاءة في التوظيف والعمل والنجاح في الحياة وجعل الفضيلة في المال بحيث ينظر إليه بوصفه مؤثراً أخلاقياً على قيم المرء! بقدر ماله وكفاءته فهو يتمتع بأخلاق عالية بالضرورة، هذا التفاوت في الكفاءة له جزء مُشرق في نيل عدد من الناس فرصة لتحقيق أنفسهم، لكن الجانب المظلم هو أن أصحاب المكانة الدنيا ممّن لم تحالفهم الظروف للتميز والتفوق لا يُنظر إليهم على أنهم ذوو مكانة دنيا فحسب، بل أن ما نالهم جزاءٌ عادل لتخليهم عن التميز والسعي في تطوير الكفاءة! لم يعد يُنظر إليهم بوصفهم مساكين تجب رحمتهم والعطف عليهم والإحسان لهم، تم التوزيع العالمي للثروة من خلال مبدأ تكافؤ الفرص، وتم التوزيع العادل كذلك للفقر بذات الطريقة، كونه يعبر عن فشل الفقير في تحقيق ذاته من خلال الفرص المتاحة للجميع، ولم يعد الفقر ظاهرة طبيعية لدى المجتمع، قالت الداروينية بعدم الحاجة لتوفير الرعاية الاجتماعية للفقراء مما يلاقونه، فهو مصيرهم المحتوم، ولا علينا أن نعطف ونرأف بهم فهذا جزاؤهم!

الحلول:

(فبدلاً من أن نسمح لكل حالة معارضة أو إهمال أن تجرحنا، يدعوا الفلاسفة أولاً أن نمتحن مدى إنصاف سلوك الآخر نحونا) هنا يشير بوتون إلى مدى صحة ردة فعل الآخرين نحونا، ومدى واقعيتها قبل تأثيرها، وهنا يكمن سؤال الفلسفة، حيث تبادر لقلب السؤال لا بأخذه على ظاهره، تحكي رواية لأوستن قصة فتاة خرجت من بيت والديها لتسكن في بيت أحد أقاربها الأعلى منهم منزلة ومكانة لعمل والدهم وحالهم المادي الجيد، تشير الكاتبة إلى

أن تلك الفتاة لم تجعل الفضيلة والشرف شيئان لا يمكن أن يتمثلا على أرض الواقع، بل سعت لجعلها حقيقة ماثلة عبر الإحسان والبر، ولكن السؤال هل لا بد للفضيلة الأخلاقية من تمثل خارجي؟ وهل لابد للفضيلة من منجزات؟ أم أن الفضيلة انعكاس للسمو النفسي البعيد عن اللهث نحو التفوق العددي الذي تفرضه الثقافة السائدة؟ والتي تعتبر كل ما لا يُحقق شيئاً ملموساً إنما هو محض هراء، لا شك أن للفضيلة الأخلاقية منافع، منها الظاهر ومنها غير ذلك.

(غير أن تأثير وجودها كان يفيض على أولئك المحيطين بها، بدرجة تفوق كل حساب، وذلك لأن الخير الذي ينمو في هذه الدنيا يعود في جانب منه إلى أعمال غير تاريخية، إذا كانت أموري أنا وأنت ليست في غاية السوء كما كان ممكناً لها، فنصف الفضل في ذلك يرجع إلى عدد من الناس الذين عاشوا حياةً خفيةً في الظل مفعمين بالإخلاص، ثم استراحوا في قبور لا يزورها أحد) [آلان دو بوتون ١٤٨] يعرض أرسطو [٣٥٠ ق.م] إحدى أفكاره العظيمة أن مقدار تعاطفنا حيال إخفاق شخص آخر يتناسب مباشرة مع مقدار سهولة أو صعوبة تخيلنا لأنفسنا نقترف خطأ مماثلاً تحت ظروف مشابهة، ففي (فن الشعر) لأرسطو يفترض أن التراجيديا لابد فيها من بطل ينتقل حاله من السعادة إلى الشقاوة بسبب كبوة، خطأ فادح، سوء تقدير للموقف .. إلخ يجعله ذلك ينحدر في سلسلة لا تنتهي من المصائب، في فترات ما قبل التكنولوجيا (الحالة الطبيعية) كما يُعبر جان جاك روسو كان لدى الناس فهم أكثر لذواتهم، حيث كانوا ينجذبون نحو الجوانب الأشد جوهرية فيهم: حب الأسرة، احترام الطبيعة، الإحساس بالمهابة أمام العالم، تذوق التسليات المتواضعة ... إلخ، وهنا يرصد روبرت بيفرلي [١٧١٠م] أنه قد زرع الأوربيون وسط الهنود الحمر حالة من الترف جعلت رغباتهم تتكاثر، وجعلتهم يشتهون ألذ شيء وشيء! يذكر ماركس بهذا الخصوص أن الأفكار المهيمنة في كل عصر هي دوماً أفكار الطبقة الحاكمة.

تكتب نوفيلا موت إيليتش [١٨٨٩م] دراسة حول قدرة فكرة الموت على إعادة ترتيب أولوياتنا بالابتعاد عن العالم الدنيوي والاقتراب من العالم الروحي، تولستوي في (الحرب والسلم) وما جناه من شهرة ملأت الآفاق وقد أدرك أنه لم

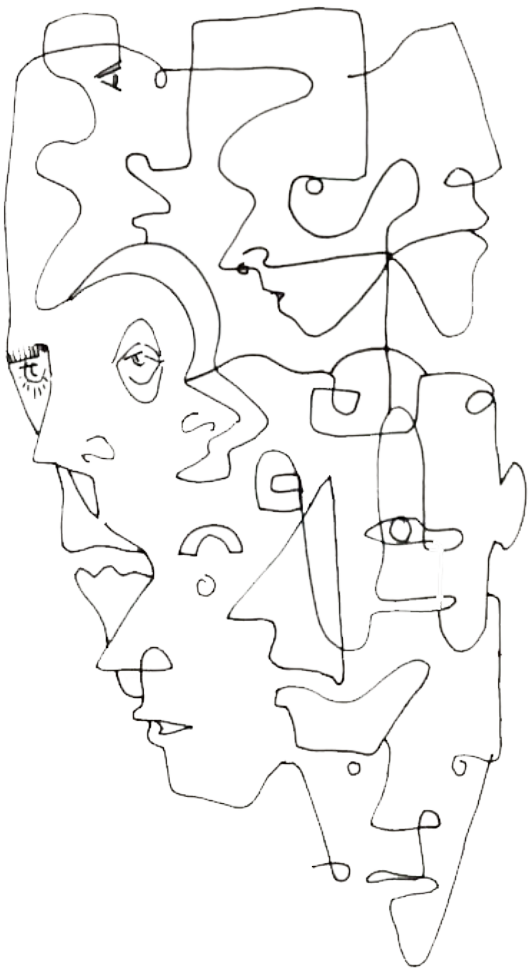

يعش حياته وفقاً لقيمه الخاصة، حيث كتب كتابه (اعتراف) [١٨٨٢م] وأصر أن القيم التي يجب أن يحيا عليها هي القيم التي وضعها الله، ولكنه في لحظة مكاشفة صرح بأنه عاش وفق قيم المجتمع ليحصد ذلك المجد و(المكانة).

الأطلال وزيارتها، إنها تنصحنا أن نطرح كرهنا وأوهامنا عن الكمال والإنجاز، تذكرنا بأننا لا نستطيع تحدي الزمن.

(لا الفلاسفة ولا الدين ولا السياسة ولا البوهيمية ولا الفن قد سعى أي منها للتخلص من التراتب الهرمي للمكانة، بل سعت كل منها لأن تؤسس أنواعاً جديدة من التراتبية تعتمد على مجموعات قيم لا تعترف الأغلبية بها أو تنتقدها)، ختم بوتون كتابه بذلك، إنه ليس من سبيل إلى محو المكانة من نفوس البشر، لكن السبيل في تحجيمها لتأخذ مكانها الصحيح {إن أكرمكم عن الله أتقاكم} هكذا يلخص لنا القرآن الكريم مبعث تطلّب المكانة الحقيقي، المكانة عند الله وحسب.

مقترحات أ. رغد ناصر
تويتر: @Gedoo27

سيكولوجية الجماهير
غوستاف لوبون

حياة تالفة
(أزمة النفس الحديثة)
تود سلون

الحياة السائلة
زيجمونت باومان

مقترحات أ. فواز عبد المحسن
تويتر: @fawaz_a_s_a

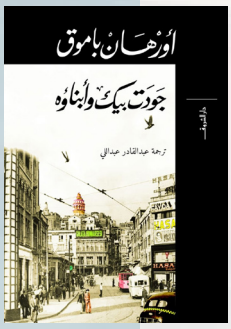

جودت بيك وأبناؤه
أورهان باموق

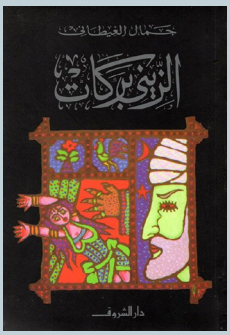

الزيني بركات
جمال الغيطاني

الطنطورية
رضوى عاشور

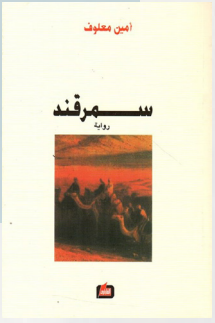

سمرقند
أمين معلوف

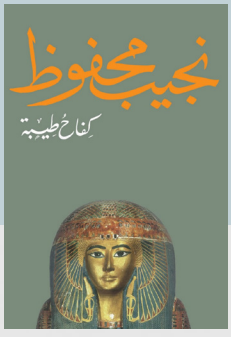

كفاح طِيبة
نجيب محفوظ

مارواه المغربي
ليلى العلمي

مقترحات أ. سارة الخالدي
تويتر: @AalyousefSarah

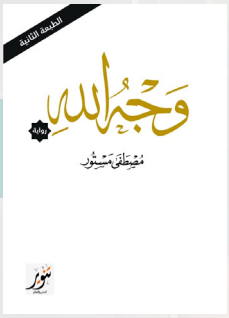

رواية وجه الله/ مصطفى مستور

الرواية الصادرة عن دار تنوير من ترجمة: غسان حمدان، والتي عرّبَ عنوانها الأصلي من (قبّل وجه إلهك) إلى (وجهُ الله)؛ هي لكاتب إيراني، يحلل في صفحات لوحته الروائية معاني الشك والتيه، ويضع نصب عينيه عدة أسئلة وجودية، فيكررها على لسانِ أبطاله دون ملل كتكرار حضورها في أذهان أبناء العصر، ويغوص في رحلة بحث الإنسان عن خالقه، ويتتبع سُبلّ إنسان العصر الحديث في سؤاله جدوى وجود الإله، ويجيب عن الأسئلة: هل يمكن أن نؤمن بالغيبيات؟ وهل نحتاج الإيمان بها؟
الكتاب مكوّن من ١٢٠ صفحة مقسمة لـ ٢٠ فصلًا، حرص المترجم أن يبسط فيها لغته دون تعقيد فلسفي أو تنطّع صوفي.

عوائق النهضة الإسلامية/ علي عزت بيغوفيتش

عوائق النهضة الاسلامية - خير جليس

المفكّر والفيلسوف الإسلامي علي عزت بيجوفيتش سعى في كتابه هذا إلى الرد على شبهات الأوروبيين عن الإسلام وفسر أسباب قصور المسلمين عن العودة لنهضتهم، وعنى في فصول الكتاب بشرح اسباب انحطاط المجتمع الإسلامي، وحرصَ على إيضاح -كنهجه الدائم رحمه الله- ما ألتَبسَ على الغربيين -والمسلمين أنفسهم- من مفاهيم متضاربة، واستفراده بإيراد مفاهيم عظيمة أخرى، ووزعت مقالاته في احدى عشر فصلًا، يجمع فيه أبرز المواضيع التي تحتاجُ حلولًا وتفسيرًا لإعادة النهضة الإسلامية.

الشخصيةالإسلامية: دراسة قرآنية/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

تحاولُ بنت الشاطئ في كتابها رسمَ ملامح الشخصية الإسلامية باستشهادٍ واستشرافٍ من القرآن والسنة، وعلى ميزانٍ دقيق لا إفراط فيه ولا تفريط، فتوزنُ شخصيةَ المسلم وتوصلهُ بمرجعيته ممتدًا بجذوره القديمة غير منكفئٍ عن حاضره ولا صادٍ عن التجديد ومواكبته.
الكتاب ممثل في ٢٢٢ صفحة، مقسم إلى ستة مباحث وهي:
الإيمان جوهر الإسلام، بشرٌ لا ملائكة، بين المادية والروحية، بين العبادة والعمل (مفهوم الجهاد في الإسلام)، بين الدين والعقل، الذاتية الإسلامية بين الفردية والجماعية - ومسؤولية القدرة.

عبقرية اللغة العربية/ عمر فروخ

يتحدث الأديب والمحقق -رحمه الله- عن اللغة وكيف تكونت ومفاهيم عامة في اللسانيات، ثم ينتقلُ بنا إلى جمالية اللغة العربية وما استفردت به، ويتوسّعُ في حديثه فيورد آراءً عامة في اشتقاقات لغوية تارة، وفي نقد لأساليب الترجمة تارة أخرى، ودعوات عامة إلى التجديد في النهج العربي والإسلامي في مواطن أخرى، فالكتاب جمعٌ من مقالات متفرقة ترمي إلى إظهار محاسن اللغة العربية وتميّزها، وقد عُنيت وهُذّبت في ٣١٤ صفحة.

مقترحات أ. لميس الحاج

تويتر: @AlhajLamees

لطائف قرآنية/ صلاح الخالدي رحمه الله

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة كتب المؤلف: من كنوز القرآن. يبتدئه بفضل القرآن وفضل تلاوته وتأمله وحفظه والنظر فيه. وقد أدرج في هذه الرسالة خمسين لطيفة من لطائف القرآن. أما عن هذه اللطائف فأوردها كما عرفها صاحبها: يبدأها بأربع لطائف حول القرآن الكريم وأسمائه وترتيب سوره، ثم ظواهر في بعض الحروف القرآنية. ثم ينتقل إلى كلمات قرآنية متقاربة في الشكل والصياغة والتركيب، والنظر في سياقها القرآني من الناحية البلاغية والنحوية والذوقية وبيان الفروق بينها. وذلك في سبيل البرهان على عدم وجود» الترادف» في القرآن الكريم، وأنه لا بد من وجود فروق بين الكلمات التي يُظن أنها مترادفة. من قبيل كلمات مثل: «تستطع» و»تسطع» في سورة الكهف. وبين «اللمس» و»المس» في السياق القرآني. و»شرى» و»اشترى» أو في اختلاف الحركات والتشكيل، مثل :» الذَّنوب» و»الذَّنوب» وكذلك في :»ميّت» و»ميْت» وهكذا.

أخلاق حملة القرآن/ الآجرّي رحمه الله

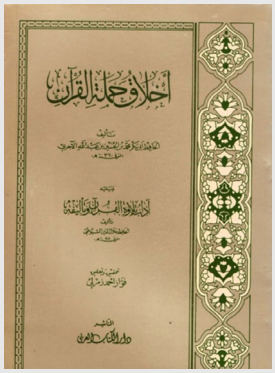

وبعد فالإنسان ليس يشرف إلا بما يحفظه ويعرف لذاك كان حاملو القرآن أشراف الأمة أولو الإحسان . لما كان من شرف خص الله به أهله وخاصته من حملة كتابه وعظيم ثوابهم وبما فضلهم عن سواهم يأتي هذا الكتاب في بيان ما ينبغي لهم من الخلق والسمت والأدب. فالكتاب قيم وحري بكل محب لكتاب الله وحافظ له أو ينوي حفظه والعمل به وتعلمه أو تعليمه أن يكثر قراءته ويتمثل معانيه. ففيه يستعرض الإمام الآجري رحمه الله أخلاق حملة القرآن وأهله وما يتوجب عليهم من آداب وهيئة ودلّ حين تلاوته وتعلمه. فيعمد رحمه الله إلى إيراد كلام السلف وشواهدهم في هذا الباب وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار في فضل القرآن وآدابه وفضل حامليه وأخلاق أهله.

آل حم فصلت: دراسة في أسرار البيان/ محمد محمد أبو موسى

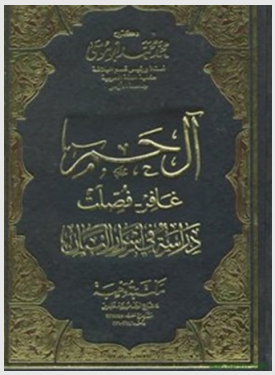

يشتمل هذا الكتاب على وقفات المؤلف وتأملاته في سورتي غافر وفصلت، واقفا على أسرارها البلاغية ودررها البيانية. فهو للمتخصص في هذا الفن وغيره المستنير والطارق لأبواب التأمل في الآي وبيانها. وقد استعان في تأملاته ووقفاته ببعض علماء هذا الفن؛ مثل: الزمخشري، والرازي، والإسكافي، والغرناطي، والطاهر، وغيرهم.

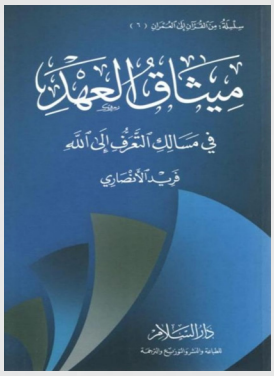

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله/ فريد الأنصاري

هذا الكتيب هو رسالة في بيان فضل الذكر وكل ما يدخل تحت هذا الباب من قراءة قرآن والأذكار والأدعية الواردة عنه صلى الله عليه وسلم . وهي أقرب ما تكون إلى كونها تذكرة وموعظة عملية في بيان فضل الذكر ومجالسه وبيان الطريق إلى حياز أجرها بالمجاهدة والصبر والدعاء.

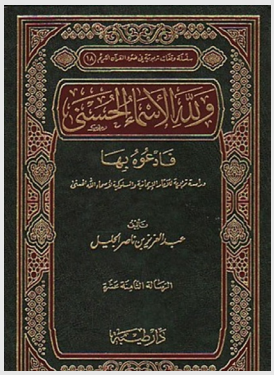

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها/ عبد العزيز بن ناصر الجليل

هذا الكتاب هو دراسة للأثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى في حياة المؤمن. يقع الكتاب في حوالي السبعمئة صفحة. أسهب فيها المؤلف في بيان أسماء الله بطريقة بحثية علمية رصينة ممزوجة بحديث التزكية. فبين المعاني اللغوية للأسماء الله الحسنى وصفاته وثمرات الإيمان بها وآثارها العميقة في حياة المؤمن خاصة وأمة الإسلام عامة. وصاحبها صور من صور التدبر؛ حيث أورد الشواهد القرآنية للأسماء الحسنى ومواضع ورودها في كتاب الله ومناسبتها في مكان ورودها من الآية.

مختصر تفسير الفاتحة/ عبد العزيز داخل المطيري

دراسة وبحث تفصيلي تدبري في فاتحة الكتاب. فهو يشتمل على بيان معاني السورة وإيضاح النكت اللغوية والبيانية فيها. وعرض لمسائل السورة فقد تطرق المؤلف إلى أبرز المسائل التي يحتاج المؤمن معرفتها عن هذه السورة العظيمة. ففصّل الحديث عن كلّ آية فيها. ثم أتى في الآيات التي تتبعها في المعنى من كتاب الله. مثل قوله تعالى:» صراط الذين أنعمت عليهم»؛ فيستحضر آيات الإنعام في كتاب الله ويربطها مع آيات السورة بسياق جميل وبديع.

مقترحات أ. سارة عبد الله

تويتر: @cinnabarlin

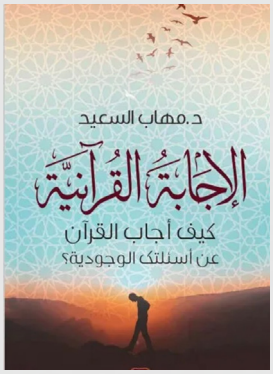

الإجابة القرآنية: كيف أجاب القرآن على أسئلتك الوجودية/ مهاب السعيد

لأن الأسئلة الوجودية هي مشكلة العصر، ولأن التساؤل عن وجود الله والعدل الإلهي والنبوات والقدر والأديان تسرب حتى للأطفال والشباب عبر شاشات التلفاز والهواتف، فهذا الكتاب المميز الذي يطرح مادة علمية وأفكار تأملية حول الأدلة الوجودية لله تعالى بسلاسة نابعة من أسلوب سرد فكاهي أقرب إلى حوار صديق هو حتمًا خيرُ ما يُعطى لمن يرغب بالقراءة الغير تقليدية في هذا الباب، يطرح الكتاب العديد من القضايا الوجودية والآراء التي يتبناها الملحدون، وبعض النظريات العلمية والفلسفية التي كانت مثار جدل للبشرية على مدار الأزمنة المختلفة، ومع كل سؤال وجدال يصول ويجول في بحار صراعات أفكارك الوجودية يحطمها الكاتب واحدة تلو الأخرى لتكتشف في النهاية أن الإجابة كانت أمامك طوال الوقت متمثلة في آية واحدة توضع في نهاية كل فكرة، هذه الرحلة الممتعة التي سوف تقضيها برفقة هذا الكتاب تُختتم بجملة «أظنّ أنّ لديكَ مُصحفا..أليس كذلك ؟».

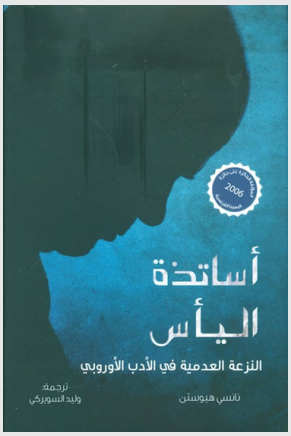

أساتذة اليأس: النزعة العدمية في الأدب الأوروبي/ نانسي هيوستن

في هذا الكتاب الممتع ستجد قراءة نقدية لتطور النزعة العدمية في الأدب الأوروبي، بأسلوب يتميز بالاختلاف عن ما هو معهود في هذا الباب، تتقصى «هيوستن» الحالة النفسية والظروف البيئية والسياسية لرواد هذا الفكر، من الكُتاب والفلاسفة المشهورين (كشوبنهاور، وبيكيت، وكونديرا، وسيوران، وغيرهم)، وتحيل سبب عدميتهم ونظرتهم المتشربة للسواد إلى الطفولة السيئة والآراء السياسية والحروب التي أثرت بالمناخ العام، وتفضح تناقضاتهم الفكرية البعيدة عن الموضوعية والتي تنطلق من الجذرية السوداوية، رافضة أن تُصدَّر نظرتهم المشوَّهة هذه إلى عامة الناس باسم الوعي والإدراك، وخصيصًا للشباب المفعم بالآمال.

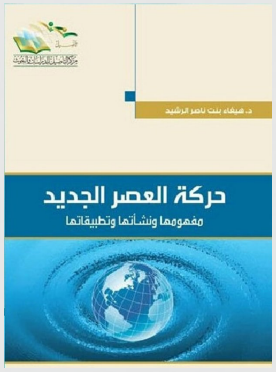

حركة العصر الجديد/ هيفاء بنت ناصر الرشيد

كتاب مهم خاصة في ظل انتشار الأفكار الغنوصية وأوهام الطاقة, وهو لتشعبه وكثرة تفصيلاته مرجعي في موضوعه، تناولت فيه الكاتبة حركة « العصر الجديد» باعتبارها دينًا جديدًا استبشرَ وأخذَ بتطبيقه غلاة الصوفية وأصحاب الفكر الباطني في العالم الإسلامي، وفصلت الكاتبة بالحديث عن الديانات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية والعقائد الغنوصية, وكيف أنها ما زالت تتجلى في مظاهر متجددة وممارسات متنوعة وبأسماء مختلفة, وقد تطرقت في البداية إلى المفهوم والنشأة ثم مصادر هذه الحركة، ثم إلى أفكارها وعقائدها من نشأة الكون إلى وحدة الوجود مرورًا بتأليه الإنسان ونسبية القيم والأخلاق الداعية إليها، والتي للأسف اقحمت في العالم الإسلامي والعربي بصبغة إسلامية, وأخيرًا عن آثارها وتطبيقاتها في الواقع سواء في العلوم النفسية والصحة الجسمية، أو في العلم التجريبي الحديث، أو في المجتمع والتعليم، أو في الإعلام ووسائل الترفيه.

صناعة السّعادة: كيف باعت لنا الحكومات والشركات الكبرى الرفاهية؟/ ويليام ديفيز

كتاب مميز وهو أشبه بدراسة تطبيقية لعدة نظريات نفسية واجتماعية، يبدأ فيه ويليام -وهو منظر اجتماعي وسياسي- بناء فرضياته من عصر التنوير وصولًا إلى تكنولوجيا اليوم، من خلال حياة الموظفين العاملين داخل الشركات والمؤسسات، ويتتبع أسباب عدم منفعة الطريقة التي تبنى بها صُناع القرار السياسي والاقتصادي مفهومي السعادة والرفاهية, وكيف أتى هذا بنتائج عكسية, ويذكر أمثلة وتجارب لنشأة علوم تخدم الإطار النفعي الرأسمالي النظري الذي تؤسسه الرأسمالية النيوليبرالية, ويتعرض لعملية «إنتاج السعادة» من حيث هي عملية اجتماعية تحاول القبض على مفهوم السعادة وتصنيعه داخل وخارج المعمل - كما هي الرأسمالية - التي تجعل الحياة بكامل أنشطتها معملًا ضخمًا تتحكم العوامل النفعية الربحية فيه طوال الوقت.

سياسة النشر

- أن يندرج المقال في المجالات الفكرية والثقافية.
- أن يراعي المقال شروط الكتابة العلمية الموضوعية، ويتسم بالجدة.
- أن يكون المقال لم يسبق نشره.
- أن تكون لغة المقال سليمة نحويًا ولغويًا.
- أن يكون حجم المقال يتراوح بين (٧٥٠- ٣٠٠٠) كلمة ويستثنى من ذلك حسب أهمية الموضوع وتميزه.